الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى – جيجل –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

العنوان:

صورة المثقف في رواية "أناشيد الملح" لـ "العربي رمضاني"

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبتين:

- ✓ دلال درغوم
- ✓ سناء بلكرديد

إشراف:

- ✓ د.توفيق قحام

لجنة المناقشة

د. عباس حشاني	جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل–	رئيسا
د. توفيق قحام	جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل–	مشرفا ومقررا
د. عمر بوفاس	جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل–	ممتحنا

السنة الجامعية: 2020/2019 م/ 1441-1442 هـ

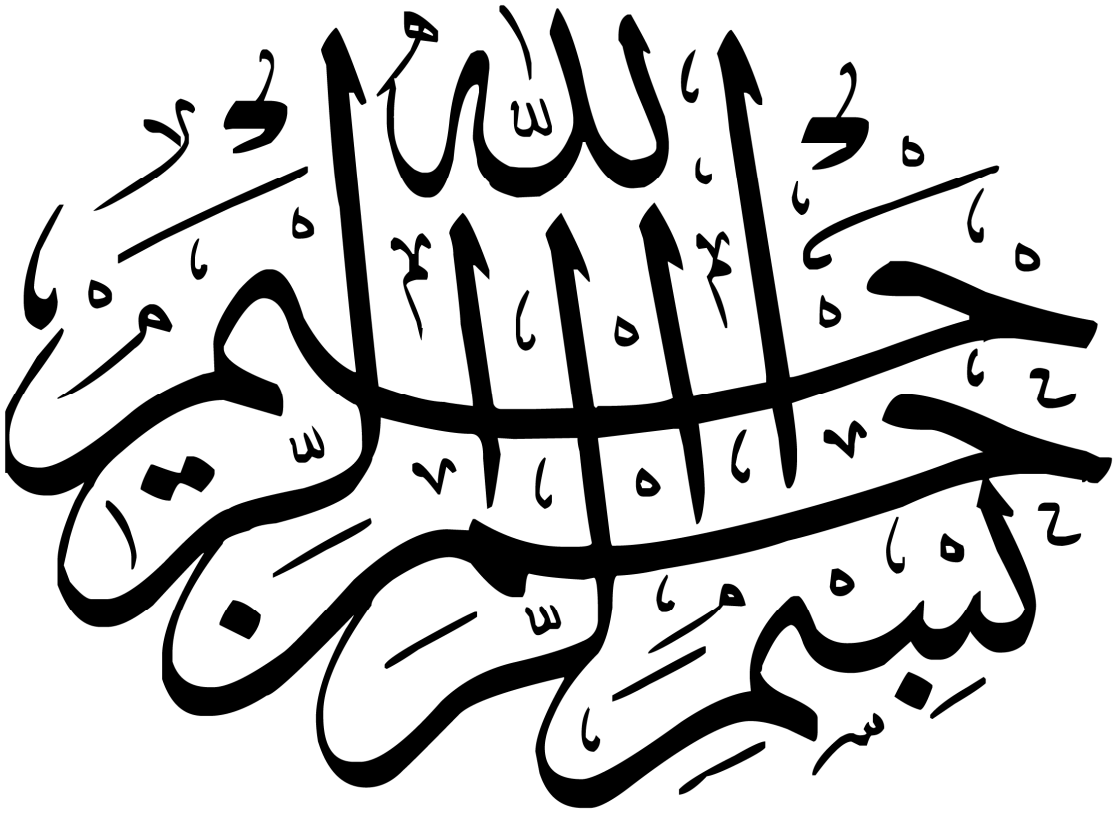
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

صدق الله العظيم

الأنفال: 105

شكـــــــر وتقديـــــــر

قال الله تعـالى:

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

نحمد الله سبحانه وتعالى على فضه وتوفيقه لنا في إتمام هذا العمل...

ثم الشكر والفضل بعد الله للأستاذ الدكتور "توفيق قحام" الذي أشرف على هذا العمل

فكان خير معين لنا إذ لم يبخل علينا بنصائحه القيمة ....

ووجهنا حين الخطأ وشجعنا حين الصواب.....

كان نعم المشرف، فله منّا الدعاء بالتوفيق والسداد دنيا وآخرة .....

كما أتوجه بالشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا العمل .....

مقدمـــــة

مقدمة:

اهتمت الرواية بالشخصية كعنصر فاعل في البناء الروائي، حيث راح الكتاب يتفننون في استحضاره داخل متونهم الحكائية، بين ملمح ومصرح وبين رابط له بالواقع وموح به، وهذا كله عبر أزمنة متغيرة ومراحل متعاقبة انطلاقا من الحكاية الشعبية وصولا إلى الرواية.

ولما كان هذا حال الشخصية، فقد اهتم بها النقاد والدارسون محاولين الكشف عن المستوى الفكري والثقافي الذي تتمتع به، وذلك في علاقتها بالواقع، حتى صارت صورة المثقف من المسائل النقدية الكبرى التي اهتمت بها البحوث النقدية الجديدة، وفي الكتابة الإبداعية الجزائرية مثلت الشخصية روح هذه الكتابات الجديدة لا تقتضي هذا الشرط لأنها استجابة تلقائية نابعة عن ملكة وموهبة، في حين الوعي بهذه القضية ومحاولة تمثلها داخل الكتابات يخرجنا من دائرة الإبداع إلى قضايا فكرية وفلسفية، ولعل هذه القيمة وهذا الدور ما جعلنا نهتم بالبحث في حضور المثقف في الرواية الجزائرية عامة وفي رواية العربي رمضاني خاصة.

وكان اختيارنا لموضوع صورة المثقف لكونه يمثل دائرة الوعي داخل المجتمع، إذ يحمل رسالة هادفة تسعى إلى التغيير والتقدم.

وانصب اهتمامنا حول رواية "**أناشيد الملح**" باعتبارها أول رواية تناولت موضوع الهجرة غير الشرعية عن طريق حراق في الجزائر، كما اهتمت بفئة الشباب المتذمر من الواقع المرير الذي يعيشه، وسعيه نحو تحقيق طموحاته وأحلامه، كما يمكننا القول أنها جسدت حلم النخبة المثقفة في الوصول إلى الضفة الأخرى عبر قوارب الموت.

وللإحاطة بالموضوع وتعميم الفهم والقيمة قمنا بطرح الإشكالية التالية:

ما الذي مثلته صورة المثقف في رواية أناشيد الملح؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات:

- من هو المثقف؟
- ما هي أشكال المثقف؟
- كيف رسم العربي رمضاني صورة المثقف "الحراق"؟
- كيف كانت شخصية المثقف في الرواية؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قسمنا بحثنا إلى: مدخل-تناولنا فيه ضبط المفاهيم التالية-الصورة – الثقافة-والمثقف، والمثقف في الرواية العربية.

والفصل الأول بعنوان "حضور المثقف في النص الروائي الجزائري حاولنا البحث فيه عن صورة المثقف في الرواية الجزائرية عامة فكان المبحث الأول بعنوان "حضور المثقف في الرواية الجزائرية" أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه "أشكال المثقف في الرواية الجزائرية"، أما المبحث الثالث عنوناه بـ "تطور المثقف في الرواية الجزائرية"، في حين المبحث الرابع جاء بعنوان "المثقف الروائي والمثقف الواقعي"، وأخير جماليات حضور المثقف في الرواية الجزائرية".

أما الفصل الثاني تناولنا فيه صورة المثقف في رواية "**أناشيد الملح**" للعربي رمضاني، وهي دراسة تطبيقية تقوم على تحليل الرواية والكشف عن كل الجزيئات المتعلقة بالشخصية الروائية، حيث تناولنا في هذا الفصل سبعة مباحث جاءت معنونة كالتالي: "العنوان وثقافة الشخصية الروائية"، المتن الحكائي والمستويات الثقافية في الرواية، من المكان إلى ثقافة الشخصية، ثقافة التجاوز في الشخصية الروائية "من الواقع إلى المتخيل"، الحوارية الثقافية وفعل المثاقفة بين الشخصيات، صورة المثقف الإنتمائي-"الأنا"، وفي الأخير صورة المثقف اللامنتمي "الآخر"

وقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الموضوعاتي الذي ساعدنا على الإحاطة بهذا الموضوع من مختلف جوانبه.

كما اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المراجع أهمها:

- عبد السلام الشاذلي: شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة 1882-1952.
- أمين الزاوي صورة المثقف في الرواية المغاربية.
- مصطفى مرتضى المثقف والسلطة رؤى فكرية.
- عمار بلحسن إنثلجنسيا أم مثقفين في الجزائر.
- علي حرب: أوهام النخبة أو النقد المثقف.

وقد اعترضت طريقنا مجموعة من الصعوبات أهمها:

- ندرة المراجع بسبب غلق المكتبات.
- جائحة كورونا التي قطعت التواصل بين الطلبة والأستاذ.
- ضعف شبكة الانترنت التي صعبت علينا تحميل الكتب.

مدخل: مفاهيم حول

1. الصورة
2. الثقافة
3. المثقف
4. المثقف في الرواية العربية

- **مفهوم الصورة:**

أ- لغة

يعتبر لفظ الصورة من المصطلحات التي لم يتم الاتفاق على ضبطها وتحديدها، فقد اختلف الدارسون عموما والبلاغيون خصوصا في إعطاء مفهوم محدد لها، وهذا نظرا لتعدد دلالاتها ومجالات استخدامها، وقد ورد في لسان العرب من مادة ص.و.ر « صور أسماء الله تعالى المصور هو الذي صور جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاطئة، وهيئة مفردة، يتميز بها على اختلافها وكثرتها» [1]، أي كل ما دل على التسلسل والخيار والتشكيل والهيئة وتصوير جميع الموجودات بترتيب.

وأضاف **ابن الأثير**«الصورة ترد في لسان العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته على معنى صفته يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته ،وصورة كذا وكذا أي صفته.» [2]

فالهيئة التي يستوي عليها الشيء في الصورة هي كل ما دل على الجمال وتسلسل الموجودات و الصفات.

وجاء في معجم مقاييس اللغة في مادة صوّر « صوّر يصوّر إذا مال، وصِرتَّ الشيء أَصْوَرْتهُ، وأَصَرتَهُ إذا أملته إليك، ويجيء قياسه تصوّر لما ضرب، كأنه مال وسقط، فهذا هو المنقاس، وسوى ذلك فكل كلمة منفردة بنفسها»[3]

من ذلك « الصورة صورة كل مخلوق، والجمع صور، وهي هيئة خلقية، والله تعالى البارئ المصوّر ويقال: رجل صبرا إذا كان جميل الصورة ومن ذلك الصور: جماعة النخل، وهو الحائش ولا واحد للصور من لفظه ومن ذلك الصوارد وهو القطيع من البقر، والجمع صيران» [4]، فالصورة هنا هي كل ما دل على الملاحة والجمال وحسن الخلق.

---

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، مادة "صور"، بيروت، لبنان، مجلد 8، ط1، 2001، ص 303.

[2] المصدر نفسه: ص 304.

[3] ابن فارس بن زكريا الرازي: معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مجلد 2، مادة صور،ط2، 2008، ، ص 25.

[4] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

وفي قوله تعالى: ﴿ **فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴾ [1]يعني الهيئة التي يستوي عليها الشيء أو هيئة الموجودات، فكل إنسان يختلف عن الأخر، ولا يوجد إثنان يتطابقان في الصورة وإنما توجد فروق بمعنى إختلاف التركيب.وأن الله قادر على تركيب الإنسان في أي صورة غير الصور الموجودة بمعنى الصورة الحسنة وحسن المظهر.

ب- المفهوم الإصطلاحي:

❖ **عند الغرب:**

أدرك النقاد أهمية الصورة الفنية فقاموا بدراستها واهتموا بمختلف أبعادها ودلالاتها وتراكيبها، ولكن هذا الاهتمام بجمالياتها لم يجعل النقاد يقدموا مفهوما موحدا ودقيقا للصورة، حيث في البيئة الغربية اختلفت المفاهيم حولها "**فاغرار باوند**" يعرفها أنها: « بؤرة تغير ونشاط» [2]، أي أنها تحمل دلالات متغيرة، تتغير باختلاف المجال الذي تكون فيه سواء كان في الأدب أو في الفنون الأخرى، أما "**بيير ريفيري**" فيعرفها بأنها: « خلق ذهني خالص، لا يمكن أن يتولد من مقارنة بل من مقاربة واقعين متباعدين بنسبة أو بأخرى، وكلما كانت الصلات بين الواقعيين بعيدة كلما جاءت الصورة قوية، وكلما زادت التأثرية زاد واقعها الشاعري» [3]، ومعناه أن الصورة القوية ليست تلك الصورة التي يدركها المبدع بحواسه وإنما هي ابتكار وخلق جديد قام به المبدع، بحيث يمكنه إيجاد قرينة بين شيئي متضادين في تلك الصورة التي يعبر بها.

وقد ورد في موسوعة **يونيفر ساليز** universsalis أن الصورة: «هي لغة الحواس والشعور» [4]

يتضح مما سبق أنهم ربطوا التصوير الفني بالتجربة الحسية والشعورية، بمعنى أن الصورة هي كل ما يريد أن يعبر عنه الأدباء والفنانين والشعراء فهي وسيلة للتعبير عن خلجاتهم وملكاتهم الشعورية.

---

[1] القرآن الكريم: سورة الإنفطار، الآية: 08.برواية ورش.

[2] نقلا عن: كلود عبيد: جماليات الصور في دلالة جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر، دار المجد، بيروت، لبنان، ط1، 1431هـ-2010م، ص 91.

[3] الصفحة نفسها.

[4] الصفحة نفسها.

❖ **عند العرب:**

كما تعرض الكثير من النقاد القدماء العرب إلى مفهوم الصورة ولعل الجاحظ أول من استعمل هذا المصطلح من خلال مقولته: « المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء وفي صحة الطبع، وجودة السّبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير». [1]

حيث يذهب "**الجاحظ**" إلى أن المعاني مطروحة في الطريق على أنها مقدمة في شكل أحداث ووقائع ومحمولات اجتماعية تخلق إبداعا خاصا بالكاتب، ويعتمد في ذلك على مخيلته الفردية، وهذا ما تبدى لنا في قوله فقد جعل من الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير، إذا فالصورة عنده هي جنس اختيار اللفظة المناسبة في المعنى المناسب، بمعنى فنّ التعبير عن الأحداث والواقع الفطرية والمكتسبة.

أما "**أبو هلال العسكري**" فيقول: «إن التصور تخيل لا يثبت على حال، وإذا ثبت على حال لم يكن تخيلا»[2]، بمعنى أن الصورة مهمتها هي نقل المعاني ملونة بالخيال على قدر من الطرافة التي تجتذب المتلقي بأسرارها، أي القدرة على التصوير والتمثيل والمحاكاة.

أما المحدثون الصورة تناولا واسعا بشكل مغاير عن تناول القدماء لها، إذ أنهم لم يقصروها على جانبها البلاغي في تكوينها بل توسعوا في مفاهيمها كما هو عند "**مصطفى صادق الرافعي**" حينما يقول: « هي التي تدخل في باب الأساليب والطرائق الأدبية، وطريقة التعبير الفني وبين الصورة الفنية ووظيفة الحواس في تكوينها»[3]، أي الأساليب التي يلجأ إليها الشعراء في تركيب ونسج مواضيعهم الأدبية وهذا المفهوم يعني اعتبار مسألة المرئيات

---

[1] إبراهيم عبد الكريم البطوش: الصورة الفنية في شعر ابن القيسراني، دار مأمون، ط1، 2018 ، د ت، عمان، الأردن، ص 9.

[2] المرجع نفسه: ص 11.

[3] المرجع نفسه: ص 15.

وهي الآليات التي تحدّث عنها "**زكي مبارك**" حينما رأى بأن الصورة: «أثرت الشاعر المفلق الذي يصف المرئيات وصفا يجعل قارئ شعره ما يدري أيقرأ قصيدة مسطورة أم يشاهد منظرا من مناظر الوجود». [1]

بمعنى أن الشاعر المتفرد بقوة انفعاله ودقته في التعبير وصدق إحساسه وجمال أسلوبه، يضع القارئ في دهشة لجمال ما قرأه وسمعه، حتى يظن أنه أمام سطور جميلة التصوير، فيحس أنه أمام مظهر يجسد الحقيقة أمام عينيه وبهذا يمكننا القول أن للصورة مقومين أساسيين هما: «تجربة الشاعر التي يعيشها في حياته اليومية ويحس بها، والهيئة الفنية التي تجسد لنا تجربة الشاعر لما يحمله من ألفاظ ومعاني وخيال وتجربة تشكل لنا القصيدة بشكل عام» [2]، أي الممارسة الحياتية للشاعر لما عاشه وقدمه في صورة شعرية، وكذلك الهيئة الفنية المتمثلة في أسلوب التصوير والمحاكاة الذي جسد لنا إبداع أدبي.

ويعرفها "**صالح أبو اصبع**" أنها: «تركيب لغوي لتصوير معنى عقلي وعاطفي متمثل بعلاقة بين شيئين يمكن تصويرهما بأساليب عدة إما عن طريق المشابهة، أو التجسيد أو التشخيص أو التجريد أو التراسل» [3]، بمعنى أن الصورة تركيب لغوي قائم على الاستعمال الحي للألفاظ باعتبارها وسيلة للكشف عن خلجات النفس الذهنية.

ومن هنا يمكننا القول أن الصورة مكونا أساسيا في التجربة الفنية، وأنها ليست شيئا جديدا في الساحة الأدبية، حيث تكمن أهميتها من خلال الأداء البلاغي والدلالي الذي تؤديه داخل المتن الحكائي، فهي فعل أسلوب قائم على الجمع بين الأشياء المادية والمعنوية وهي التي تجعل من العمل الإبداعي عملا فنيا متكاملا.

---

[1] إبراهيم عبد الكريم البطوش: الصورة الفنية في شعر ابن القيسراني: ص16.

[2] المرجع نفسه: ص 17.

[3] نادر مصاروه: شعر العميان: الواقع والخيال، المعاني والصور الفنية، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 2008، ص 12.

2- مفهوم الثقافة:

أ- لغة

يعود أصل الثقافة في اللغة العربية إلى الفعل الثلاثي ثَقِفَ « ثَقِفَ الشيء ثَقْفًا وثِقافًا وثُقُوفةً: حذِقه، ورجل ثَقْفٌ وثَقِفٌ وثَقُفٌ: حاذِقٌ فهِم، وأتبعوه فقالوا ثَقْفٌ لقْفٌ. وقال أبو زياد: رجل ثَقِفٌ لقِف رَامٍ راوٍ. الليحاني: رجل ثَقْفٌ لقْفٌ وثَقِفٌ لقِفٌ وثقِيفٌ لقِيفٌ بين الثّقافة واللّقافة. ابن السكيت: رجل ثَقْفٌ لقْفٌ إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به. ويقال: ثقِفَ الشيء وهو سرعة التعلم "**ابن دريد**": ثَقِفْتُ الشيء حَذِقْته، وثقِفْته إذا ظفرت به.

قال الله تعالى: ﴿**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ**﴾ [1] الآية : 57 من سورة الأنفال وثَقُفَ الرجل ثقافة أي صار حَاذقًا حفيفا مثل ضخُم، ومنه المثَقافة، وثِقِفَ أيضا ثَقِفًا مثل تَعِب تعبًا أي صار حَاذقًا فطنًا، فهو ثقفٌ وثقُفٌ مثل حذِرٍ وحَذُرٍ وندِسٍ وندُسٍ، ففي حديث الهجرة: وهو غلام لقِنٌ ثقِفٌ أي ذو فطنة وذكاءٍ، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه، والثِّقاف ما تُسوى به الرماح». [2]

من مجموع هذه الدلالات اللغوية لكلمة الثقافة يتضح أنها تعني الحِذق والفَهم، والفطنة، وسرعة التعلم بما في ذلك تقويم الإعوجاج، وتلقُّف المعلومات واستوعابها بسرعة.

ب- اصطلاحا:

تعد الثقافة عاملا مهما في تصنيف الشعوب والمجتمعات وتميّزها عن بضعها البعض، وذلك لما تحمله من خصائص ودلالات ذات أبعاد فردية، واجتماعية، فتعددت واختلفت تعريفاتها لدى العلماء والمفكرين واختلفت عبر الأزمان وحتى اللحظة لازالت كلمة ثقافة غامضة المعنى.

---

[1] سورة الأنفال: الآية 57.برواية ورش.

[2] أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مجلد3، ط4، 2005، مادة ثقف، ص 28.

***عند الغرب:**

يعرّف "**ادوارد تايلر**" الثقافة على أنها: «ذلك الكل الذي يتضمن المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والأعراف، وكل المقومات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع» [1]، أي تتداخل في تكوينها العديد من العناصر، باعتبارها نتيجة تفاعل الإنسان مع بيئته الاجتماعية وبما تحمله هذه البيئة من عادات وفنون وآثار، إلا أن "**رايت**" خالفه في ذلك بعد سنوات طويلة، إذ يرى أن الثقافة هي« النّمو التراكمي والعادات لشعب من الشعوب يعيش في حالة الاتصال المستمر بين أفراده وينتقل هذا النحو التراكمي إلى الجيل الناشئ عن طريق الآباء وعبر التربية». [2]

فهي مجموعة من الخصائص تكون مرتبطة بالمجتمع وبالفرد في حد ذاته، تؤثر فيه ويتأثر بها، وهذا ما يجعل سلوكه فطريا، والبيئة التي ينشأ فيها الإنسان هي العامل الأول في اكتساب الشخص صفات مختلفة.

***عند العرب**

فمصطلح الثقافة استُنبط أساسا عند العرب لطريقة الحياة ونمط العيش والتفكير والممارسة، ولعل هذا ما ذهب إليه الدكتور صالح هندي على أنها «طريقة الحياة التي يعيشها المسلمون في جميع مجالات الحياة وفقا لوجهة نظر الإسلام وتصوراته في المجال المادي الذي يسمى المدنية أو في المجال الروحي والفكري الذي يسمى الحضارة». [3]بمعنى أنها مجموع الخبرات التي يكتسبها الأفراد في مختلف المجالات وتتداخل تلك المجالات وفق ما يقدمه أو يمليه الإسلام.

ومن هنا نستنتج أن الثقافة اشتملت على جميع السمات التي تميز كل مجتمع عن الآخر، والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالمعارف والقيم الأخلاقية، كما أنها تعبر عن السلوك اليومي للأفراد داخل الجماعة.

---

[1] نقلا عن: محمود الضبع: شرفات3، الثقافة والهوية والتكنولوجيا، مكتبة الإسكندرية، دار النشر فان، د ط، 2016، ص 9.

[2] المرجع نفسه: ص 9

[3] صباح محمد جاسم: مفهوم الثقافة الإسلامية وتحدياتها، مجلة ديالى، جامعة ديالى، العراق، كلية العلوم الإسلامية، العدد 44، ص 680.

3- مفهوم المثقف

أ- لغة:

ورد في معجم الوسيط «ثَقِف بمعنى ثَقِفَ الشيء أقام المِعْوَجَّ منه وسوّاه –الإنسان- أدَّبَه وهذّبَه وعلّمَه والثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي تتطلب الحَذْق فيها» [1]، يعني الإستقامة والتوجيه وتهذيب الخُلق، وتسوية الإعوجاج.

كما ورد في معجم العين من مادة (ث.ق.ر) «قال أعرابي إنّي لقِف راوٍ رامٍ شاعرٍ

وثقفتُ فلانا في موضع كذا أي أخذناه ثَقِفا

وثقيفٌ: حيّ من قيس

والثِّقاف: حديدة تسوى بها الرماح ونحوها، والعدد أثقفةٌ جمعه ثُقُفٌ

والثُّقف مصدر الثقافة وفعله ثَقِفَ إذا لَزِمَ وثقفتُ الشيء وهو سرعة تعلّمه». [2]

يدل على الوعي والدّراية بالشيء ومدى سرعة تعلّمه، ومن خلال هذا نرى أن المثقف في معاجم اللغة العربية هو الإنسان المستقيم الموجه للآخرين وكذلك الواعي بالأشياء.

ب- اصطلاحا:

اختلف الباحثون في تعريفهم لمصطلح المثقف، وهذا راجع إلى وجود اختلاف في مفهومه ووظيفته وشكل حضوره داخل النص والأدوار التي يقوم بها.

يرى البعض أن بداية استعمال هذا المصطلح كانت في فرنسا «إبان محكمة دريفوس عام 1891 من قبل أصحاب تيار اليمين السياسي للإشارة إلى المعارضين لإجراءات هذه المحكمة». [3]

من هنا كانت الإنطلاقة الحقيقية لهذا المصطلح والذي لاق رواجا كبيرا في العالم.

---

[1] أنيس إبراهيم وآخرون: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2005م، ص 98.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: داوود سلوم وآخرون،مادة (ث ق ف) ،مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2004م، ص 93.

[3] معن خليل العمر: علم الاجتماع المثقفين، دار شروق، الأردن، ط1، 2009م، ص 24.

وهناك من رأى أن هذا المفهوم مرتبط «بالمفكرين المتطرفين والنقاد اللاذعين في رؤيتهم للأحداث». [1]

أي أنه من كان معارضا لكل الأحداث سمي مثقفا، وبذلك عرّف على أنه « ذلك الشخص الذي يملك الإتقان والإبداع، والإنماء المعرفي في مهنته وقادر على نشره وإذاعته بين الآخرين مثل الأدباء والشعراء والكتاب والفنانين (...) هذا على صعيد المعرفة النظرية، أما على صعيد المعرفة التطبيقية فإنها تضم المهندسين وممارسي الطب (البشري والحيواني)، معنى ذلك أنه يشمل صاحب الإبداع المعرفي، النظري والتطبيقي على السواء». [2]

فالمثقف هنا هو ذلك الإنسان المبدع والذي يحمل صفة الرقي، كما يكون مساهما في تحريك الناس لبناء مجتمع متقدم وراقٍ.

ويعرف "**ماكس فيبر**" المثقف بأنه «المفكر المسلح بالبصيرة». [3]بمعنى أنه ذلك الإنسان الذي يملك قدرة عقلية ومعرفية كبيرة في تحليل الأمور وفهمها وله معلومات واسعة في شتى المجالات.

أما "**بارسونز**" يراه ذلك «المتخصص في أمور الثقافة والفكر الحر البعيد عن أمور الحياة» [4]، أي أنه واعي بمختلف الجوانب العلمية والحياتية والثقافية، وذلك من خلال امتلاكه لمؤهلات معرفية تجعل منه إنسانا مثقفا عارفا بجميع التخصصات.

وهناك من يعرفه بأنه: «الحاصل على الشهادة الجامعية» [5]، أي الإنسان المتعلم الذي خاض تفاصيل علمية في جانب من جوانب العلوم، فبذلك يمكن القول أنه إنسان مثقف، هذا التعريف قد لا ينطبق على الجميع لأنه يوجد الكثير من الكتاب والروائيين من لديهم شهادات جامعية وفي الواقع هم غير مثقفين.

---

[1] معن خليل العمر: علم الاجتماع المثقفين: ص 24.

[2] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

[3] أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية–الفهرس والممارسة–، دار النشر راجعي، الجزائر، دط، 2009، ص 25.

[4] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

[5] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

فالمثقف يجب أن يتسم بالانفتاح وعدم التعصب اتجاه الآخر، كما عرفه "جون بول سارتر: « العالم الذي يخرج باهتماماته وعمله من حدود علمه المتخصص إلى أفاق المصالح الإنسانية المشتركة». [1] أي الفرد الذي لا يبقى حبيس تخصصه وعمله بل يخرج إلى أفاق أخرى والإطلاع على مختلف المجالات حتى تساعده على اكتساب معارف كثيرة تكون خادمة لمجتمعه فيكون بذلك عنصرا فعالا في المجتمع.

❖ **عند العرب:**

في الدراسات النقدية والسياسية واللغوية العربية أثر مصطلح المثقف دلالات متنوعة والتي تقول أنه: «الذي يأخذ من كل علم بطرف، ولا يشترطون الاختصاص، فلو كان الإنسان أعلم أهل زمانه في الهندسة والرياضيات والجبر، فإنهم يأخذون عليه مثلا عدم إلمامه بالطب والفلسفة والفك والأدب...». [2]

أي لا يمنح اسم المثقف لأي كان حتى يتصف بقدر واسع من الإطلاع على المعارف الفكرية المتنوعة، كونه داعية إصلاح وحامل رسالة يخاطب إنسانية الإنسان، ومشعل نور يوقد الحياة الاجتماعية، بما يجود به القلم من إنتاج وإبداع.

وذهب "**ابن خلدون**" إلى الأمر ذاته حين عرف المثقف بأنه: «ذلك الإنسان الذي يدرك ويعي التعارض القائم فيه وفي المجتمع بين البحث عن الحقيقة العلمية مع كل ما يترتب على ذلك من ضوابط ومعايير، وبين الإيديولوجيا السائدة مع منظومتها من القيم التقليدية». [3]

فالمثقف هو القادر على فهم ما يحدث في المجتمع والبحث عن الحقائق العملية، ومحاولة فهمها من خلال ضوابط وأحكام تكون مرتبطة بهذه المنظومات والقيم.

أما في العصر الحديث فنجد طه حسين الذي أشار إلى أنه «ليس كل متعلم مثقف بالمعنى الدقيق للكلمة، فالمثقف هو الشخصية بما تمتاز من تهيؤ للطبع والعقل لقبول المعرفة، مهما تختلف فروعها ومهما تكون مادتها

---

[1] أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية–الفهرس والممارسة–، ص26.

[2] خير الدين نصر عبد الرحمان: نحو تثاقف متوازن، دار أمواج للنشر، الأردن، د ط، د ت، ص 12.

[3] محمد حسن البرغثي: الثقافة العربية والعولمة، دراسة سوسيولوجية لأراء مثقفين العرب، دار الفارس للنشر، عمان، ط1، 2007م، ص 147.

وتحدد تبعة هذه الشخصية بالقياس إلى البيئة التي يعيش فيها بمقدار ما يكون لها من حظ في الثقافة أو حظ في العلم أو حظ في كليهما». [1]

إذن على المثقف أن يكون نافعا بعلمه ويهتم بالشأن العام وقضايا المجتمع والأهم من ذلك أن يكون قريبا من الذين يخاطبهم لا بعيدا عنهم ولا متعاليا عليهم يسمع منهم ويوجههم ويتمتع بالشجاعة الفكرية في فهم المجتمع وظواهره، ومما لا شك فيه أن ينطلق في أداء مهمته هذه من حصيلته المعرفية وتجربته الاجتماعية.

رغم مختلف الدراسات التي قُدمت حول مصطلح المثقف وجدنا أنه يسير في اتجاه واحد، فقد اعتبروا أن المثقف هو كل من يهتم بمجال الثقافة، وهو التعريف الذي تم الوصول إليه بعدما تطور هذا المفهوم في العالم، فظلت إشكالات مفهوم المثقف تثير الجدل والنقاشات حتى الآن.

[1] نقلا عن: مصطفى مرتضى: المثقف والسلطة رؤى فكرية، دار روابط للنشر، ط1، 2016، ص 41.

- **المثقف في الرواية العربية:**

إن دراسة المثقف في الرواية العربية تقضي خطة شاملة بمختلف الجوانب الفكرية والفنية، وحتى الثقافية، من أجل الوصول إلى دراسة مفصلة ومعمقة لها، وبالرغم من الأهمية الكبيرة التي تتمتع بها شخصية المثقف في الرواية العربية، إلا أنها لم تكن من الدراسات التي نالت اهتمام الدارسين والنقاد، لأن المثقف العربي لم يؤت له أن يلعب الدور الذي لعبه المثقفون الغربيون منذ فولتير وروسو إلى سارتر وفوكو «أي لم يشارك في صناعة الرأي العام وصوغ الوعي الجمعي أو التأثير في الدينامية الاجتماعية والسيرورة التاريخية». [1] بمعنى أنه هذا المثقف، لم يمارس الدور المطلوب منه في المجتمع، رغم قدرته على العطاء وتقديم المساعدة إلى أنه ظل حبيس أفكاره «كما أنه لم يمارس الدور الذي كان يمارسه العلماء والفلاسفة في العصر الإسلامي، بمعنى أنه لم يشكل سلطة رمزية معترف بدورها وأهميتها». [2] أي أنه لم يتخذ طريق السابقين من المفكرين، كما أنه لا يمتلك القدرة على تمثيل نفسه، ولم يجسد هموم مجتمعه، وايصال رسالته ومواقفه وهذا ما أدى إلى تهميشه، ومن بين الدارسين الذين تعرضوا لقضية المثقف: عبد السلام الشادلي في شخصية المثقف في الرواية الفنية العربية الحديثة بمصر 1834-1952م.

محمد رياض وتار: شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، محمد كامل الخطيب في: الرواية والواقع، محمد الجابري: المثقفون والحضارة العربية، علي حرب: أوهام النخبة أو نقد المثقف وغيرهم، فقد درسوا مختلف جوانب المثقف الفكرية والاجتماعية، كما تناولوا في دراستهم أهمية المثقف ودوره الريادي في الساحة الأدبية، ومختلف مواقفه وهواجسه.

من هنا بدأت ملامح المثقف تتبلور وتظهر من خلال ظهور هؤلاء المفكرين الذين تعمقوا في مفهومه، وحاولوا معرفة أهميته في المجتمع، وتقديم أدوار له، وقد سعوا في جعل المثقف بطلا رئيسيا في رواياتهم الحامل لواء الوعي والتقدم، والساعي إلى تقديم دوره في مجتمعه ومهامه التي غابت في الدراسات السابقة.

---

[1] علي حرب: أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، ط3، 2004، ص 42.

[2] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

ومن أهم المفكرين الذين كان لهم الفضل في تقديم المثقف إلى الدراسات الأدبية والنقدية إدوارد سعيد من خلال سلسلة من المحاضرات التي ألقاها في بيروت، أولها كان بعنوان: المثقف في عالم اليوم، حرص فيها على «إعادة تعريف المثقف، محاولا عرض نماذجه أو تعيين مهامه أو تبيان وسائل عمله وتأثيره» [1]، هذه الدراسة كانت بمثابة الإنطلاقة الأولى في التعريف بدور وأهمية المثقف داخل المجتمعات العربية، ومن بين الروايات التي عالجت مشكلة المثقف رواية زينب "لحسين هيكل" «فقد جاءت شخصية حامد في الرواية مثقفة، تحمل نزعة ثقافية وأفكار مختلفة فهو رجل علم ورأي ومواقف اجتماعية وسياسية، فهو إنسان مثقف له معرفة بالقوانين الاجتماعية والاقتصادية» [2]، فقد كانت شخصية حامد تطغى في الرواية رغم أنه ليس البطل الرئيسي في الرواية إلا أن جل أحداث الرواية متعلقة به وبأفكاره ومبادئه.

توفيق الحكيم في روايته عصفور من الشرق: عالج فيها مواقف مختلفة للمثقف اتجاه مجتمعه كرجل يحمل مبادئ وثقافة ووعيا، والفكرة الرئيسية في هذه الرواية تقوم على «فكرة الصراع بين الشرق والغرب، أو بعبارة أخرى أدق، الصراع بين الحضارة الشرقية والحضارة الأوروبية». [3] وهي فكرة كبيرة بالنسبة للمثقف في الرواية المصرية.

وفي رواية حليم الأكبر لعادل كامل جاءت شخصية خالد إنسان «مثقف صاحب علوم اجتماعية ومعارف فكرية وفلسفية وموقف حضاري ضد كثير من أوضاع المجتمع المصري المتخلف في الثلاثينات». [4]

وقد حاول الكاتب تجسيد الصراعات النفسية في الضمير الداخلي للشخصية، وتقديم مبادئ المثقف عامة اتجاه مجتمعه، وقد ميز بعض النقاد بين المثقفين وقسموهم إلى فئتين: «الفئة الأولى إيجابية تعمل ليل نهار على

---

[1] علي حرب: أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، ص 45.

[2] عبد السلام الشاذلي: شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، 1882-1952، ط1/1985، ص 153.

[3] المرجع نفسه، ص 269.

[4] المرجع السابق،ص 420.

تطوير البلد، نحو مثلها العليا، والفئة الأخرى غارقة في السلبية واللامبالاة». [1] أي هناك مثقف إيجابي يسعى إلى التغير والتقدم ومثقف سلبي لا يحمل على عاتقه لواء التغيير.

وهذا يجعلنا نقول أنه من الصعوبة دراسة شخصية المثقف العربي في الرواية، لما يعيشه من مختلف التغيرات الطارئة، فهو إنسان يعيش بأفكاره ومبادئه، ويفكر أحيانا في عدم قدرته على التغير، وهذا يعود للظروف السياسية والاجتماعية التي مر بها الوطن العربي فوجد المثقف نفسه في دوامة.

وفي الأخير يمكننا القول أن شخصية المثقف من أهم الشخصيات التي صارت تطرح نفسها بقوة في الساحة الأدبية، لقربها من شخصية المؤلف، وكذلك قدرته على طرح قضايا مجتمع ووضع حلول للمشاكل الحاصلة، وهذا بسبب الوعي الذي تحمله هذه الشخصية والقناعة بضرورة التغير.

[1] عبد السلام الشاذلي: شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، ص 439.

الفصل الأول: حضور المثقف في النص الروائي الجزائري

1. حضور المثقف في الرواية الجزائرية
2. أشكال المثقف في الرواية الجزائرية
3. تطور المثقف في الرواية الجزائرية
4. المثقف الروائي والمثقف الواقعي
5. جماليات حضور المثقف في الرواية الجزائرية

توطئة:

اهتمت الرواية العربية والجزائرية على وجه الخصوص منذ نشأتها مسألة المثقف من زوايا متعددة منها الاجتماعية والسياسية، وظل حضوره ملازما لحضور الرواية رغم اختلافه من رواية إلى أخرى ومن زمن إلى آخر، نظرا لتوجهات الروائي وموقعه من السلطة ونظرته للمثقف عموما، وكذا مسار الرواية القديمة والحديثة، فالروائيون يرون في المثقف ذلك الشخص المبدع والمبشر بالتغير القادم، والناقد لواقعه، في حين يرى آخرون أن المثقف الجزائري غير قادر على التوفيق بين ممارسته الحياتية وكتاباته الإبداعية.

بالرغم من هذا يبقى المثقف موضوعا جماليا بالنسبة للنص الروائي حيث اتخذ كعنصر وظيفي يحرك أحداث الرواية وينقلها إلى أفق الصراع وإحداث التصورات ونقل الأفكار،ولهذا فقد ظهر العديد من الكتاب الجزائريين الذين تطرقوا إلى مختلف القضايا التي شهدتها الحقب التاريخية التي عاشتها الجزائر حتى أصبحت أفكار المثقف وطموحاته سببا في ثورته ضد أشكال العنف والأوضاع المزرية متجاوزا بذلك كل العقبات والمخاطر التي كانت تحذق به.

ولما كان هذا حال الرواية والمثقف على السواء فقد كان اهتمام الدارسين والنقاد بمجال حضور الشخصية وأثرها على النص الروائي بارزا في دراستهم النقدية.

المبحث الأول: حضور المثقف في الرواية الجزائرية

مثل حضور المثقف في الرواية الجزائرية قيمة نوعية تضاف إلى الأداء السردي الذي يحقق الغاية الجمالية وبهذا أخذ أبعادا متعددة وأشكالا مختلفة منها ما هو متصل بالمجتمع ومنها ما هو متصل بالخيال الفني، وقد اعتبر "المثقف السوي" ذلك الذي لا ينعزل عن الواقع وإنما يهتم ويتابع أموره ومواضيعه محاولا تجاوز حاجاته الشخصية لينخرط في قضايا اجتماعية وسياسية واقتصادية، فيهتم بمعالجة مشاكل وهموم مجتمعه، وهذا التفاعل «هو العامل الذي يجعله يكتسب المعارف والثقافات التي تفتح له الآفاق المختلفة للظهور في الساحة الأدبية، وكذلك ترفع من شأن المجتمع وتطوره ورقيه الحضاري» [1]

وقد أكد النقاد والدارسون أن هذا التفاعل بين المثقف والمجتمع لا يتم بشكل متسارع، وإنما ينشأ تدريجيا من خلال الوعي الذي يخلقه المثقف من أجل تعميم المعرفة، ومن مظاهر حضور المثقف في الرواية الجزائرية ما نجده في رواية "اللاز" للطاهر وطار حيث يعتبر الطاهر وطار من الكتاب الذين أثاروا الجدل في الساحة الأدبية، إذ أن قلمه كان حاضرا في عمق المشهد الثقافي العربي الجزائري، ما جعله ظاهرة متفردة في الساحة الثقافية الجزائرية، وتعد اللاز من أكثر الروايات تصويرا للواقع والثورة والمجتمع في البيئة الجزائرية، كما تعد تجسيدا للبحث عن الهوية، فقد تناول فيها تناقضات الثورة الجزائرية والشأن الجزائري وكفاحه ضد الاستعمار.

وترمز شخصية اللاز في الرواية إلى الشعب ونضاله قصد فرض شخصيته وإثبات هويته، حيث جاءت شخصية البطل حاملة لمسحة واقعية، كما جاءت عملية الخلق الفني أقرب منها إلى المنطق، حيث استطاع "**الطاهر وطار**" أن يطور الحدث الروائي عبر هذه الشخصية عندما صورها مكابرة، معاندة ووقحة، رجلا لقيطا منبوذا من أهل قريته، فقد كانت لهذه الحياة القاسية التي عاشتها دورا كبيرا في الانقلاب والثورة، ورغبة منه في التخلص من رداءة الحياة التي يعيشها.

---

[1] ينظر: كنزة باشوشي: المثقف الجزائري وجدل الحضارات في ظل الإعلام المعاصر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، علوم الإعلام والاتصال، تخصص اتصال الأزمات، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم علوم الإعلام والاتصال، 2008-2009، ص 39.

كما صور شخصيته متقلبة ليست على حال واحدة ضمن أحداث الرواية، إذ هناك اختلاف روحي ونفسي وفكري، لأنه ظهرت عدة تغيرات على شخصيته.

أما شخصية زيدان فقد مثلت والد "اللاز" الذي هو الشخصية المثقفة التي تحر الجزائريين للنضال والتحرر من البطش والظلم الذي يعيشونه، والذي آمن بقضيته ونبلها وضرورة انتصارها، كما مثل شخصيته «المؤمن بأفكاره ومعتقداته الذي دافع عنها حتى آخر يوم له، إذ أنه قتل بسبب أفكاره ومبادئه الشيوعية». [1]

كما كانت لثقافته وتعلمه دور كبير في تفكيره الصائب الذي ساعده على قيادة الثورة «فكان هذا الوعي الذي يحمله عاملا إيجابيا لتمرد القادة الآخرين على الوضع السائد والثورة على العدو» [2]، ومن خلال هذا يمكننا القول أن شخصية زيدان كانت بارزة في الرواية لما تحمله في طياتها لرمز النضال والتحرر، والحال نفسه في رواية غرفة الذكريات لبشير مفتي، حيث عملت الرواية على تجسيد نماذج عديدة للمثقف ونقلت مختلف مواقفه وانطباعاته ونلمس الحضور المهيمن لهذه الشخصية في فترة التسعينات، المرحلة التي شهدت ثورة في الشكل والمضمون وانكبت بذلك الرواية على الاشتغال على ثيمة المثقف، حيث كان أكثر عرضة للعنف والموت، وكانت شخصية المثقف الصحفي حاضرة بقوة في الرواية لارتباط الصحافيين بأداء أدوار هامة جدا تتمثل في ترسيخ الوعي الجمعي

وتوعية الناس ببشاعة واقعهم المأساوي السوداوي عبر مقالاتهم الساخرة من منظومة السلطة وأجهزتها العنيفة.

إضافة إلى انتماء الصحافيين إلى فئة من المثقفين الملتزمين الذين ناضلوا من أجل إيصال الحقيقة، وهذا الأمر كلفهم أرواحهم في أغلب الأحوال.

---

[1] ينظر: علجية مودع: هامشة المثقف ورهانات السلطة قراءة في مشروع الطاهر وطار الروائي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر، العدد السادس، 2010، ص9.

[2] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

وقد مثّل أنموذج المثقف "جمال كافي" الكاتب الصحفي المعارض للنظام والداعي للتغيير عبر مقالاته السياسية الساخرة وهذا ما جعله عرضة للكثير من المضايقات من قبل النظام الحاكم، وتفرغ هذا الأخير لكتابة المقالات السياسية المعارضة للسلطة والجماعات الدينية.

كما نلمس أيضا المثقف الشاعر الذي مثله "سمير عمران" ويعدّ أنموذج المثقف اللامنتمي؛ فهو يشعر أنه لا ينتمي إلى جغرافية ذلك العالم الذي ولد داخله الخسران والفقدان والهزيمة باعتبار المثقف هو الفكر الذي يحمله ويعبر عنه ويدافع عنه في شتى المجالات.

كما نجد شخصية المثقف "عزيز مالك" الذي مثل أنموذج المثقف السلبي الانهزامي هذه الشخصية الحالمة بتغير أوضاعها وأوضاع مجتمعها إلى الأفضل، بسبب قساوة الحرب وبشاعة الإرهاب أضحى مستسلما متوقفا عن المقاومة والكتابة.

وقد ركز كتاب آخرون على المثقف المحوري في كتاباتهم من بينهم واسيني الأعرج في سيدة المقام وغيرها.

ومن خلال هذا يمكننا القول أن المثقف في الشخصية الروائية الجزائرية حمل بعدا أيديولوجيا فلسفيا، اجتماعيا، خاصا بالحياة والواقع، فأبطال الروايات لم يخرجوا عن الدفاع عن مبادئ معينة.

المبحث الثاني: أشكال المثقف

حاول كثير من الدارسين والفلاسفة تصنيف المثقفين حسب تصوراتهم الإيديولوجية وتوجهاتهم الفكرية والسياسية ويعتبر أنطونيو غرامشي من أشهر المنظرين لمصطلح المثقف، حيث ربطه بوظيفته في المجتمع إذ يرى أن الإنسان مهما كانت المهمة التي يقوم بها فهو يمارس نشاط ثقافي، أي أنه إنسان متذوق له رؤية خاصة نحو العالم، لكنه عندما يتناول المثقفين يحصرهم في وظيفة معينة فغرامشي بين صنفين من المثقفين: المثقف العضوي والمثقف التقليدي.

1- المثقف العضوي:

المثقف العضوي هو ذلك المثقف «الإيجابي الذي يسمح لنفسه بالاحتكاك بطبقات مجتمعة، والمساهمة في إخراج أفراد هذا المجتمع من براثن الظلم والفساد، ومن سيطرة الإيديولوجيات الزائفة، إنه مثقف يعمل على إنجاح المشروع السياسي والمجتمعي الذي يعني بحاجات الطبقة الكادحة ويلبي حاجاتهم الجوهرية». [1]

بمعنى أن المثقف العضوي لا يتصف بالفردانية إذ تكمن وظيفته في تحقيق تصور للعالم وايديولوجيات خاصة بالفئة أو الطبقة التي يرتبط بها عضويا من أجل المساهمة في تقديم المساعدة لأفراد مجتمعه، إذن فعمله نبيل دائما يسعى لتلبية حاجاتهم المختلفة.

وارتبط المثقف العضوي بالطبقة التي تستخدمه لتنظيم وظائفها الاقتصادية يقول غرامشي «إن كل جماعة اجتماعية تظهر إلى حيز الوجود في عالم الإنتاج الاقتصادي، حيث تؤدي وظيفتها الجوهرية، وتخلق معها عضويا شريحة أو أكثر من المثقفين، وهي تمنحها التجانس والوعي بوظيفتها لا في الميدان الاقتصادي وحده، بل في الميدانين الاجتماعي والسياسي أيضا...» [2]

بمعنى أن المثقف العضوي يولد في آن واحد مع طبقة لها دور أساسي في عملية الإنتاج.

---

[1] غنية بوحرّه: المثقف والصراع الإيديولوجي في رواية الأزمة الجزائرية متاهات ليل الفتنة لـ احميدة عياشي أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري الحديث، 2011-2012، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، ص 28-29.

[2] محمد الهادي كشت: تمثيلات المثقف المقاوم، صورة المثقف في فكر إدوارد سعيد، العدد الخامس، نيسان، أبريل، 2018، ص 212.

ومن أهم الروايات الجزائرية التي كان للمثقف العضوي حضورا بارزا فيها رواية "الحريق" لمحمد ذيب، نرى أن الشخصية التي تتمحور حولها أحداث الرواية شخصية عمرو والتي مثلت نظرة المجتمع إلى الحياة والواقع في فترة الاستعمار فكان لها التأثير الفعلي في الحركة الوطنية، والمنظم السياسي لكفاح الشعب من أجل التحرر والتغيير.

- **المثقف التقليدي:**

يرى "**غرامشي**" أن المثقف التقليدي هو ذلك «المثقف الحيادي نوعا ما والغير ملتزم بأي شيء كما أنه يعيش خارج المجتمع وطبقاته ويرفض أن ينتمي إلى أية طبقة معينة، ويضم رجال الدين والفلاسفة والمحامين والمهندسين والمعلمين، وغيرهم من الذين يكرسون أنفسهم لأداء العمل نفسه من جيل إلى جيل ويتميزون بقدرتهم على الاستمرار والتواصل لقوة أفكارهم وكفاءتهم». [1]

بمعنى أن المثقف التقليدي حسب "**غرامشي**" كل من يواصل أداء العمل نفسه من جل إلى جيل، يتميز بقدرته على الاستمرار والتواصل، وبذلك تكون سمته الأساسية الثبات، وعدم ارتكازه على أي أرضية، إذ اعتبر هؤلاء المثقفين أنفسهم فئة قائمة بذاتها وأنهم مستقلون عن الطبقات الأخرى، وبذلك يعرف "**غرامشي**" المثقف التقليدي «المثقف الذي يوظف أدواته الثقافية للعمل على استمرار هيمنة الكتلة السائدة المكونة من الإقطاعين والبرورجوازين» [2]، أي أن هذه الفئة مهمتها الأساسية تكمن في المحافظة على الطبقات الاجتماعية التي ألت إلى الزوال من خلال توظيف مجموعة من الأدوات الثقافية التي تساعد على الاستمرارية.

ورواية بخور السراب "**لبشير مفتي**" من أهم الروايات التي جسدت هذه الفئة من المثقفين، حيث تدور أحداث الرواية حول شخصية روحية تؤمن بالجانب التاريخي التقليدي للجماعة، من خلال فكر الزوايا الدينية المتمثلة في زاوية الجد المعزوز.

---

[1] حكيمة السبيعي: صورة المثقف عند واسيني الأعرج رواية مكملة الفراشة أنموذجا، دار الجنان للنشر، د ت، د ط، ص 24.

[2] المرجع نفسه: ص 25.

المثقف الحقيقي:

يقدم "**جوليان باندا**" تصورا مغايرا للمثقف الذي ذهب إليه "**غرامشي**"، والذي يرى أن جميع الناس مثقفون، ولا فرق بينهم، فإن "**باندا**" لم يوافقه بل حصر هذا الصنف في دائرة معينة إذ يقول أن المثقفين «عصبة صغيرة من الملوك والفلاسفة الذين يتحلون بالموهبة الاستثنائية» [1] إذ أنه يضع هذا المثقف في مرتبة عالية، ميزه عن باقي البشر في الواقع هذا المثقف الذي رسمه "**باندا**" قد لا يوجد إلا في "عالم المثل" [2] يحمل مبادئ مثالية نقية تكون منعدمة في عالم البشر.

الرواية الجزائرية لم ترسم ملامح هذا المثقف ولم تجسده في روايتها، بل تجاوزت كل ما يتعلق به لصعوبة تجسيده.

المثقف الملتزم:

يعرف "**جميل صليبة**" المثقف الملتزم على أنه «الرجل الذي يوجب على نفسه أمرا لا يفارقه» [3] وقدرته على عمل كل ما يراه ينفع مجتمعه وأمته، هذا الفعل يلتزم به مع نفسه، فيكون كما قالت موسوعة "**لالاند**" الفلسفية: «متعهد لقضية أو لمشروع أو لحزب» [4]، يأخذ على عاتقه المشاريع التي تهم مجتمعه ووطنه، فيحمل عبء نجاحها وضرورة التغيير، ومن خلال هذا يمكننا القول أن هذا المثقف يسعى إلى ترك بصمته والتغيير وإصلاح المجتمع هذا الهدف الذي يناضل من أجله.

ويحمّل "**سارتر**" هذا المثقف مسؤولية خاصة، تجعله في أنبل المراتب بعيدا عن فئة الشعراء والفنانين، لأنه لا يعتبرهم من النخبة المثقفة، بل ميّزهم عن غيرهم من البشر وهذا يعود إلى قدرتهم على العطاء والإصلاح.

---

[1] محمد الهادي كشت: تمثيلات المثقف المقاوم، صورة المثقف في فكر إدوارد سعيد، العدد الخامس، نيسان، أبريل، 2018، ص213.

[2] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

[4] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

فهو يرى إنسان قادر على كتابة أشعار وتأدية دور الفنان وغيرهم من المبدعين، فالمثقف الملتزم حسب "سارتر" يتبنى قضية ما ويقوم بمعالجتها ونشرها بين الناس لأن هدفه نبيل يخدم المجتمع ويدافع عنه.

المبحث الثالث: المثقف الروائي والمثقف الواقعي

انتقلت الشخصية الروائية من الواقع إلى المتخيل ومن الحقيقة إلى الخيال، فبعدما كانت عنصرا ماديا شكليا يخضع لمتطلبات الوجود الإنساني، المتعلق بالداخل والخارج، أصبحت كيانا معنويا يمثل الإنسانية بصفة عامة.

وقد اشتغل الروائيون على مر فترات الإبداع على بلورة شخصيات روائية تحولت من كيان مادي إلى بناء رمزي، فجاءت تسميات متعددة للشخصية البطلة، منها البطل الإيجابي والبطل السياسي والبطل السلبي، إذ أن المرحلة الإشتراكية عملت على الفصل بين الشخصية البسيطة والشخصية المالكة والمرتبطتين بالطبقة العاملة والبورجوازية فهما يمثلان «صراع على مستوى الواقع اليومي بكل جوانبه الإيجابية والسلبية، حيث يقع الفرز الطبقي الحقيقي على مستوى البنى الفوقية والبنى التحتية وتسودهما إيديولوجية الطبقة المسيطرة»[1]، هذا الصراع يخلقه الكاتب في أدوار مختلفة لخلق وعي اجتماعي يصور من خلاله أبعادا ثقافية تتجسد في السلوكات البشرية وعلاقاتها الاجتماعية والاقتصادية، بيد أن الكاتب يلجأ إلى تشكيل بنية لغوية ونسيج خيالي، ينسجم مع البنية الاجتماعية ومكوناتها الثقافية والسياسية، ما يجعل العمل الروائي يأخذ طابعا خياليا، لكنه يعبر عن المجتمع وعلاقته بالشخصية.

فالروائيون يعتمدون أسلوبا متمايزا أتاح لهم «تصوير علاقات جديدة ذات طبقة اشتراكية بين البشر بعضهم مع بعض وبين الشخصية والمجتمع» [2]، لذلك فإن تصوير الروائي يصبح لسانا ناطقا للمجتمع فيجسد صورة الفرد الواقعية وأحواله الشخصية وما يعيشه من ظروف سواء كانت قاسية أو سعيدة، هذه الشخصية الوحيدة التي يستطيع الروائي بها إيصال رسالة معية.

فكانت الظروف والمشاكل مساهمة في إنتاج أدب يحمل في طياته أهداف ومبادئ يسعى الأدباء لتحقيقها والوصول إليها من خلال كتاباتهم والتي اعتبرت كتابات مرتبطة بواقع الروائي، هذا الواقع الذي يصل بين ما هو

---

[1] واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1986م، ص 87.

[2] المرجع نفسه: ص 467-468.

معاش وبين ما هو تخيلي يطمح له كل من الشخصيات والروائي في حد ذاته، فمهمة هذا المثقف تصوير الواقع بكل ما يحمله من تفاصيل دون إعطاء رأي أو تشكيل موقف سلبي بل يكتفي بتصوير الحقائق كما هي، ونظرا لتأثر الفرد بالواقع وتأثيره به، لجأ معظم الروائيين إلى خلق وتكوين شخصيات لها أبعاد اجتماعية، تحمل سلوكات ومبادئ مرتبطة بالواقع الإنساني من خلال التصوير اليومي لهؤلاء الأفراد والجماعات، والتي تحمل كل شخصية أدوارا ووظائفا مختلفة يسعى الروائي من خلالها إلى إثارة فضول القارئ، وكذلك حملها لهدف ورسالة ما، فالروائي بات يعتمد على «عنصر الخيال الذي أعطى للرواية لمحة جديدة فيحول الواقع إلى رموز يكمل بها عمله الروائي، ومن خلال هذا السياق يرى بعض الشعراء أن الكتابات الواقعية تفسد الواقع». [1] أي أن الروائي يستلهم الخيال لينشط به فكره، فيؤثر في المتلقي ويحرك فيه حب الاكتشاف فتتأثر عواطفه.

رواية شاهد العتمة لبشير مفتي، من الروايات التي دمجت الواقع مع الخيال، إذ تدور أحداثها حول فترة من الفترات التي مرت بها الجزائر، ألا وهي العشرية السوداء، إذ استطاع الجمع بين الواقع والخيال، وهذا ما أعطى لرواية روح جديدة، فالمتخيل والواقع لهما علاقة متلازمة، فكل يكمل الآخر، إذ أنه حدد لنا الفترة الزمنية التي عاشها، والغوص في الصراعات والقتل والاغتيال والظلم والفساد تارة، وبين الشخصيات التي مثلت هذا الواقع في الرواية.

فمن خلال تقديم بشير مفتي الشخصيات الروائية في هيئتها وصورتها الإنسانية، استطاع إقناع القارئ بحقيقة وجودها في الواقع، وذلك لتناوله مختلف القضايا التي تمد الواقع بصلة، فمن الصعب تجاوز الروائي لهذه القضايا والأحداث لأنها الوعاء الذي ينتج منه نصوص إبداعية، فالمثقف يكون قلمه حاضر من أجل إيصال صوته للمجتمع وتوعية الفرد على ضرورة معرفة حقائق وتاريخ وطنه، إذن فأفكاره ومبادئه ناتجة عن الواقع.

[1] كيس كرانت: موسوعة المصطلح النقدي (الواقعية الرومانسية: الدراما والحبكة)، د ط، د ت، ص 20.

المبحث الرابع: تطور المثقف في الرواية الجزائرية

تعددت صور المثقف واختلفت في النصوص الروائية الجزائرية، إذ تكشف في مجملها عن الصراع مع مقتضيات الواقع، ومقابل التوعية والتوجيه يحمل المثقف رسالة التغيير والثورة وله قضية يدافع عنها، وذلك لامتلاكه «صلات روحية بالشعب» [1]، أي تربطه علاقة وطيدة بالمجتمع، لتفاعله مع جميع الطبقات ومختلف المجالات فيواجه المجتمع دون التعالي عليه.

- **المثقف الثوري:**

هناك عوائق ساهمت في الوقوف بين المثقف الثوري وممارسته وهي عوائق سياسية كانتشار القمع وعوائق اقتصادية كانخفاض دخل المثقف وعوائق اجتماعية كانتشار الأمية بين الناس.

وقد عرّف المثقف الثوري على أنه ذلك الشخص الذي «يسعى إلى تغير الواقع، ودفنه باتجاه مرحلة جديدة لم تكن موجودة من قبل» [2]، وهذا يؤكد على أنه يمثل دورا رياديا، إذ يعتبر الشاهد على تمزق المجتمع والعامل على تغييره إلى الأحسن والتأثير على السلطة بقراراته فهو يرى أن التغيير داخل المجتمع يكون من خلال الثورة ولا يوجد بديل لتحقيق هذا الهدف المنشود باعتباره «مسؤول عن كل قضايا الفكر في العالم» [3]، وهذا من خلال اعتنائه بمصير الناس ومواجهة الواقع كما يضع يده على كشف المفاهيم الزائفة فكانت «منطلقاته الفكرية واضحة ودقيقة وغير معرضة للتأويل والازدواج». [4] أي أن مساره الثوري خال من جميع الشكوك والتناقضات والزوائف البالية التي من شأنها أن تضع هذا المثقف تحت النقد، وهذا ما ساعده على فرض نفسه دون غيره.

اختلفت قضايا الثورة في الرواية الجزائرية من كاتب إلى آخر ومن بين الروايات التي تناولت المثقف الثوري "ريح الجنوب" لـ"عبد الحميد بن هدوقة"، سعى الكاتب من خلال شخصية "نفيسة" البنت الثائرة والمناضلة

---

[1] عبد العزيز السيد جاسم: سمات المثقف الثوري، منشورات دار الأدب، دمشق، ص 7.

[2] محمد رياض وتار: شخصية المثقف في الرواية السورية (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، 1999، ص105.

[3] عبد العزيز السيد جاسم: سمات المثقف الثوري، ص 7.

[4] المرجع نفسه: ص 8.

كقضية من قضايا العصر في الجزائر وهي قضية المرأة وحريتها فأراد لهذه الشخصية أن تحمل آراءه وأفكاره والتي مست مختلف فئات المجتمع، ومن هنا نجد أن نفيسة صورة المرأة المثقفة والمتحررة، المتمردة، الثائرة والجريئة. [1] التي حاولت وسعت إلى تغيير واقعها.

- **المثقف البورجوازي:**

قدم الروائيون الشخصية البورجوازية على أنها مثقف مساهم في نشر الوعي بالتوازي مع مساهمته في زيادة معدل الإنتاج، إذ يرى مختلف الدارسين على أن المثقف «فرع من البورجوازية الصغيرة» [2]، أي أنه يحمل مبادئ البورجوازية ويسعى دائما إلى إرسائها، كما أنه يناضل من أجلها، والهدف من ذلك تحقيق العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع والقضاء على الإقطاع واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، حتى اعتبرت هذه الطبقة «النخبة المثقفة البيروقراطية المهنية» [3]، أي أنها صفوة المجتمع ويقوم عليها، تتميز بوعي مختلف الإشكالات التي تواجه بني جلدته وعليه فإن هذه النخبة هي من تصنع الأفكار وتقود نحو التغيير في حين يرى جون بول سارتر أن «المثقف البورجوازي الذي كان يناضل ضد الإقطاع قدمات» [4]، فالبورجوازية لم تستطع الصمود أمام المد الإشتراكي وتحولها إلى إقطاع.

وقد كان حضور هذا المثقف البورجوازي واضحا في الرواية الجزائرية، ومن بين الروايات التي تجلت فيها البورجوازية رواية "التفكك" لـ "**رشيد بوجدرة**" من خلال شخصية سالمة والتي تعيش في الرواية «بعقلية البورجوازية الصغيرة المشتتة الفكر بين الماضي والحاضر، بين ثورتها النفسية الداخلية وسعيها من أجل البحث عن هذه

---

[1] ينظر: مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر، دط، 2000، ص 16-17.

[2] مصطفى مرتضى: المثقف والسلطة رؤى فكرية، ص 48.

[3] المرجع نفسه: ص 50.

[4] بن خدة نعيمة: المثقف والسلطة عند إدوارد سعيد، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، 2011-2012، ص 31.

الحقيقة» [1]، وذلك من خلال علاقتها بالطاهر الغمري التي أعطته دافع للخروج من عزلته ليندمج مع المجتمع الذي يعيش فيه، تمثل سالمة أرض الجزائر الطاهرة والتي «تحمل مختلف التناقضات في القيم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، كما مثلت في نفس الوقت نموذج المرأة الجزائرية. »[2] التي تصدت لكل ما تعيشه من مشاكل وتمزقات داخلية فكان تفكير هذه الفتاة يعد مثالا «العقلية البورجوازية المتذبذبة المتفككة وهي في الوقت ذاته صورة الواقع الجزائري »[3]، وهذا ما أكده رشيد بوجدرة من خلال الرواية.

- **المثقف الإصلاحي:**

عرف المثقف الإصلاحي على أنه: « مثقف نقدي يظهر في مجتمعات أهمها الرأسمالية الديناميكية» [4]، فالمثقف كائن فاعل في المجتمع يمكنه التأثير على حركة الوسط الذي يتفاعل معه، مما يقدمه من أفكار ومعارف، إلا أن النظام الذي يقوم عليه المجتمع يلعب دورا في كيفية تقديم المثقف لمبادئه وتوجهاته الإصلاحية فالمثقف الإصلاحي يرى أن «التطوير ممكنا داخل النظام» [5]، وعلى هذا الأساس يكون لنقده قيمة نفعية داخل المجتمع الذي يعيشه ونشر الوعي الهادف إلى التغيير والتطور بطرق سلمية، إذ ترى هذه الفئة أن «الثورة ليست ضرورة حتمية» [6]، أي إيقاف المواجهة المسلحة والعنف ليحل محلهما الحوار السلمي والكتابة بالقلم مع نشر الوعي، هذه المعايير تفرض عليه الإلتزام بالعدل والمساواة، وهذا ما أكده الدكتور أسعد عبد الرحمان من خلال اعتباره

---

[1] مخلوف عامر: الرواية والتحولات في الجزائر (دراسة نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية)، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، د ط، د ت، ص 46.

[2] ينظر: المرجع نفسه: ص 47.

[3] المرجع نفسه: ص 48.

[4] فادي علان علي جمعة: دور المثقف في تورات الربيع العربي وعلاقته بالسلطة السياسية، أطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على الماجستير في التخطيط والتنمية السياسية بكلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2015م، ص 20.

[5] مصطفى حسن: المثقف والآخر على هامش إشكالية نشوء المثقف، دار أي كتب، لندن، ط1، شباط–فبراير 2018، ص 16.

[6] المرجع السابق: فادي علان علي جمعة، ص 76.

«كل ناقد سياسي أو اجتماعي مثقف بشكل أو بآخر شرط امتلاك الوعي والرغبة لتجاوز الراهن صوب الأفضل، وأن يكون الحوار سلاح الناقد الأول والأخير». [1]

أي أن الوعي ملكة في المثقف يجب أن تتوفر فيه من أجل التغيير وتجاوز العوائق عن طريق الحوار، إذن فضمير هذا المثقف الإصلاحي مرتبط بالضمير الإنساني في تقرير مصير الإنسان، وفي حالة عدم قدرة المثقف على الوقوف في وجه الثورة والعنف ليصبح أمامه خيارين «إما أن يبقى في إطار النظام فيتحول إلى مثقف محافظ يدافع عن كيان الدولة أو أن ينضم إلى صفوف الثورة ليصبح واحد من المثقفين الثوريين». [2]

من بين الروايات التي تناولت هذا المثقف نهاية الأمس والتي تدور أحداثها حول بشير والذي صوره "**بن هدوقة**" شخصية إصلاحية داعية إلى التغيير إذ تنطلق وقائع هذه الرواية بذهاب بشير غلى قرية يعمل كمدرس في مدرستها، التي وجد عراقيل وصعوبات في ذلك العمل، إلا أنه أصر على رفع التحدي من أجل مواصلة مايطمح له، فقام بعدة إصلاحات فيها وقرر الإقامة كل سنة في قرية من أجل إصلاحها والإنتقال إلى غيرها.

وهذا ما أدى إلى تقسيم فئة المثقفين فمنهم من كان معارضا، ومنهم من كان رافضا، ومنهم من كان تابعا لمصالح الدولة والتي جعلت منه إنسانا زائفا يحمل في داخله نوعا من الإنتهازية.

- **المثقف التراثي:**

عرف المثقف التراثي على أنه: «ذلك الفرد الذي يتوسل التراث لتغير الواقع، و يرى أن النموذج الأمثل للحضارة قد أنجز وانتهى، وأنه من الأفضل للبشرية محاكاة الماضي ومحاولة تمثله وإعادة تشكيله» [3]، أي أنه يقدس التراث والماضي ويعتبر مبدأ من مبادئ الحياة، فهو لن يتكرر ولن يعود مرة أخرى، فاعتبر هذا المثقف

---

[1] سلاف نعيمة: النخبة المثقفة والسلطة في الجزائر، مصطفى الأشرف أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، تخصص حركات وطنية وتشكيلات الدولة في الجزائر ودول المغرب العربي، جامعة وهران، كلية الحقوق، قسم العلوم الإنسانية والعلاقات الدولية، 2012، ص 43.

[2] المرجع السابق: فادي علان علي جمعة، ص 20.

[3] محمد رياض وتار: شخصية المثقف في الرواية السورية، ص 97.

أصيل[1]، يذهب بأفكاره إلى أبعد ما يمكن، كما يعتني بمصير الناس ومواجهة الواقع ويضع يده على كشف المفاهيم الزائفة والبالية، فيبحث في «خزينة التراث عن عوامل الوحدة والتوحيد ليبني على أساسها مشاريع وبرامج فوقية ساعدته هذه المعايير على رسم مساره وطريقه نحو المجهول» [2]، أي أن البحث والتنقيب من سماته التي يستمد منها العادات والتقاليد وتجارب الأجيال من أجل ترك للجيل الصاعد موروثا فكريا يقوم عليه في حياته، فكانت هذه المنطلقات الحافز والمشجع على ملئ تاريخه بمختلف التجارب والتقدم نحو اللامعلوم في الأطر الاجتماعية، لأن المجتمع غير قادر على ممارسة دوره وتحدي الصعوبات والمشاكل الاجتماعية وحتى السياسية والاقتصادية إلا من خلال الوعي الذي ينشره هذا المثقف.

ويتحدد الدور الذي يلعبه المثقف في مجتمعه من خلال ممارسته للعملية النقدية في جميع التخصصات، وخارج مجال الثقافة والتعلم باعتباره ضمير صاف وذو فكر واسع يكون دائما مدافعا عن المجتمع وعن الحقيقة فيكون وديع للحاجات الإنسانية والتأثير على أصحاب المصالح وتصحيح القرارات الغير صائبة.

ومن الروايات التي تناولت دور المثقف التراثي في المجتمع رواية وطن من زجاج ليسمينة صالح والتي تدور أحداثها بين الحداثة والأصالة، تناولت شخصية يهمها تمزق مكونات ورموز الأمة الثقافية وعدم الانتفاع من تنويعها.

---

[1] ينظر: مقال: سمير بسباس: المثقف العربي بين الشعبوية والانهزامية، نشر في الشعب يوم: 26ماي 2007، في 2020/7/28، 17:00.
http://www.turess.com/echads/2543.

[2] المرجع نفسه.

المبحث الخامس: جماليات حضور المثقف في الرواية الجزائري:

حاول الكثير من الأدباء والمفكرين الجزائريين إنتاج نصوص روائية تحمل تجارب من الواقع المعاش ومن المآسي التي مست الجزائر في فترات من الزمن، فكان دور المثقف جليا في كل مرحلة، إذ ركز مختلف الكتّاب على كيفية تقديمه كبنية مهمة في المجتمع، قادرة على تقديم الحلول وإنتاج المعرفة المعمقة لوصف هذه المرحلة.

باعتباره «المفكر الواعي بأهمية قضية الإنتماء القومي، والوعي بأهمية دوره في إحداث التغيير الإجتماعي القائم على الخلق والإبداع [1]» أي أن شخصية هذا المثقف تطرح نفسها بقوة، إذ أنها تمثل الكاتب القادر على طرح واقع مجتمعه ووعيه بقضايا أمته، وكذلك قناعته بضرورة التغيير. هذا ما أدى إلى بروز العديد من الروائيين الذين حملوا لواء تقديم هذا المثقف إلى المجتمع وبروزه من خلال أعمالهم التي لاقت رواجا.

فجاءت جل الروايات واصفة لحالة الرعب والهلع الذي عاشه المثقف ومجتمعه فمن بين الروائيين الذين رفعوا أقلامهم في ظل الأزمة التي مرت بالجزائر (العشرية السوداء) "واسيني الأعرج" فكانت كتاباته نماذج تمثل حضور المثقف الذي عاش ظروفا صعبة، والإغتراب الذي يحس به في وطنه، من رواياته: سيدة المقام، حارسة الظلال.

كما ذهب بشير مفتي في نفس السياق، عبر عن الفترة التي مرت بها الجزائر عموما والمثقف الجزائري على وجه الخصوص، فكانت شخصيته المثقف جلية في مختلف رواياته، من بينها "أرخبيل الذباب" والتي تناول فيها محاولة هذا المثقف الهروب من الوطن الذي يخشى على روحه فيه، فكانت نصوصه تصور الواقع المرير وتحمل الكثير من المآسي التي عاشها المثقفون.

وفي الكتابة النسائية نجد "**أحلام مستغانمي**" والتي كان قلمها حاضرا في الكشف عن دور المثقف ومدى أهميته في المجتمع ويتجلى ذلك في روايتها "ذاكرة الجسد".

[1] مصطفى مرتضى: المثقف والسلطة رؤى فكرية، ص45.

بالإضافة إلى "زهرة ديك" في رواية "في الجبة لا أحد" والتي صورت آلام وأحزان المثقف إبان تلك الحرب الدامية التي خلفت أرواحا كثيرة، لأن الرواية الجزائرية في تلك الفترة قائمة على تصوير مآسي المثقفين، والتي جعل منها الإرهاب جثة هامدة، فكان الروائي حريص على تحميل مسؤولية الوطن والإرهاب في تشتيت هذه الفئة، كما أنها اهتمت في جل سياقاتها بتجليات المثقف ومختلف المواقف والهواجس التي يتعرض لها. فجسدت شخصيات اختلفت من روائي لآخر، تحمل وعيا تاما بمشاكل مجتمعها وضرورة الوقوف على نشر الوعي وإصلاح المجتمع.

فكان حضور هذا المثقف في الرواية بمثابة الشيء الذي أفاض الكأس، فترك بصمة وراءه مكنت الكتاب من مواصلة البحث في إشكالية حضوره في الساحة الأدبية والتهميش الذي كان يعاني منه، وكشف الفضاء الإيديولوجي والثقافي الذي يتموضع فيه.

وظيفة المثقف:

يعيش المثقف في تطور دائم في المجتمع، مع كل موجة، وفي كل فترة زمنية، لدى وجب عليه المساهمة في تنمية مجتمعه وتطوره، فتتجلى إذن وظيفته من خلال وعيه للأحداث الحاصلة في المجتمع، ومحاولة التحكم والسيطرة عليها بكل رزانة من أجل إيجاد حلول مناسبة. إذن لابد للمثقف أن «يحول الكلام إلى فعل، والنظرية إلى ممارسة ليتمكن من تحقيق الغاية البعيدة المنوطة به، ألا وهي تغير عقلية المجتمع وتوعيته» [1] أي حضور المثقف بشخصيته وخطابه مجسدا قيم مجتمعه باعتباره ذاتا فاعلة قائمة على التغير والتوعية والإندماج في ثنايا المجتمع، من أجل معرفة العلة وعلاجها، ووضع يده على الجروح الدامية التي من شأنها ان تؤدي إلى تحقيق التطور والتقدم، كما تساهم في الحفاظ على الهوية والإنتماء. والتعبير عن روح الجماعة بدلا من الاهتمام بالذات الفردية. وإثراء المنظومة الفكرية والثقافية من أجل التأثير في الآخر.

[1] عمار بلحسن: انثالجانسيا أم المثقفين في الجزائر، دار الحداثة، ط1، 1976، ص91.

المثقف والسلطة:

تعالج الرواية الجزائرية القضايا الاجتماعية التي شكلت بؤرا إشكالية في المجتمع الجزائري، فكانت شخصية المثقف تدور حول محاولته للوقوف في وجه السلطة، أو نقد شخصية هذا المثقف المنهزم أمام السلطة التي جعلت منه تابعا لها، فقدم الكتاب صورتين للمثقفين:

1- المثقف الإيجابي: وهو المثقف الذي يتخذ موقف المعارضة ضد السلطة، هذا النوع من المثقفين تقوم السلطة بـ« إقصائهم أو سجنهم أو تصفيتهم [1]». بسبب آرائهم التي تكون موجهة للنظام والسلطة، فهدفه التغيير والقضاء على مختلف الأنظمة المستبدة.

المثقف السلبي: من المثقفين الذين «التحقوا بالسلطات والدول وعملوا في خدمتها... يزينون أفعالها، ويدافعون عن فشلها وهزائمها» [2]، أي يكون خادما لجميع مصالحها، فهو مجرد وسيلة لتعتيم والنتيجة في كلا الحالتين واحدة «العجز والهامشية» [3]، هذا ما تقدمه السلطة للمثقف المعارض أو المثقف السائر خلفها.

وبما أن العلاقة بين المثقف والسلطة تميزت بالتوتر وذلك لخوفها من أصحاب الوعي والفكر الذين يحملون ثقافة التغيير فقد قسم الكتاب المثقفون إلى ثلاث أنماط:

المثقف الانتهازي: الفئة التي تتقرب من السلطة وتدافع عنها وتتستر عليها، حتى تنال رضاها.

المثقف الثائر: يقف في الجهة المعارضة للسلطة، يقف دائما مع الشعب وهذا ما أدى إلى تهميشه.

المثقف المهمش: يمثل هذا الصنف المثقف الثائر الذي دافع عن مجتمعه والذي حاول أن يفضح السلطة.

---

[1] علي حرب: أوهام النخبة أو نقد المثقف، ص145.

[2] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

الفصل الثاني: صورة المثقف في رواية "أناشيد الملح"لـــ العربي رمضاني"

1. العنوان وثقافة الشخصية الروائية
2. المتن الحكائي والمستويات الثقافية في الرواية
3. من المكان إلى ثقافة الشخصية
4. ثقافة تجاوز في الشخصية الروائية من الواقع إلى المتخيل
5. الحوارية الثقافية وفعل المثاقفة بين الشخصيات
6. صورة المثقف الإنتمائي "الأنا"
7. صورة المثقف اللامنتمي "الآخر"

المبحث الأول:العنوان وثقافة الشخصية الروائية

لاشك أن اهتمام العربي رمضاني بالمثقف في الكتابة الروائية وفي روايته أناشيد الملح ليس من فراغ ،وإنما هو حتمية اجتماعية، ثقافية وفنية، وكذلك جزء من الواقع المرير الذي كان يعيشه في بلده، فكانت هذه الرواية عبارة عن تقرير مفصل عن رحلته في البحر مع المهاجرين، وعن فئة الشباب التي تعيش التهميش بكل أشكاله من السلطة والمجتمع.

حظيت دراسة العنوان بأهمية كبيرة في الدراسات النقدية المختلفة، باعتباره يمثل المدخل الذي يقع على القارئ من أجل فهم بنية النص وشروعه في عملية القراءة، حيث «راح الكثير من النقاد يتبارون في الدفاع عن سلطة العنونة ومركزيتها في النصوص الأدبية ودورها في القراءة» [1] أي اعتبار العنوان المفتاح الرئيسي الذي يطل من خلاله القارئ على النص الأدبي حتى يتمكن من فهم مضمون النص وفك رموزه وألغازه، وهذا ما أدى إلى اعتبار العنوان «مصطلحا إجرائيا ومفتاحا أساسيا يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة». [2] أي أنه أول مرحلة يقف عليها الباحث في علم النص لإزالة غموضه.

يعرف "**ليوهوك**" العنوان على أنه: «مجموعة من الدلائل اللسانية من الكلمات والجمل وحتى النصوص قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه وتشير بمحتواه الكلي ولتجذب الجمهور المستهدف». [3] بمعنى أنه نص يحمل دلالات مختلفة يساعد القارئ لتصفح محتواه واكتشاف ألغازه، وعادة ما يدفع العنوان القارئ لاقتناء كتاب ما.

---

[1] محمد صابر عبيد: الذات الساردة، سلطة التاريخ ولعبة المتخيل، قراءات في الرؤية الإبداعية، لسلطان بن محمد القاسمي، دار تينوي للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، د ط، د ت ص 409.

[2] جميل الحمداني: السيموطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، مجلد الخامس والعشرون، العدد الثالث، الكويت، 1997، ص 95.

[3] نقلا عن: علي جعفر علاق: الدلالة المرئية (قراءات في شعرية القصيدة الحديثة)، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص 35.

ويرى "**رولان بارت**" أن العناوين«أنظمة دلالية سيميولوجية تحمل في طياتها قيما أخلاقية، اجتماعية، وايديولوجية»[1]، أي تتداخل في تكوينها العديد من الإشارات التي أعطتها قيمة جمالية وأخلاقية، تحمل معاني كثيرة وتختلف هذه القيم من عنوان إلى آخر، فالعنوان هنا إذن هو صورة كلية له، «يوحي بالعديد من المقاصد ويوضح الكثير من الدلالات» [2]، والتي من شأنها أن تدلنا إلى وجهتنا دون الغور في النص، إذ تكشف عن المتن والأحداث الحاصلة.

والعناوين أحيانا كانت سببا فيما وصلت إليه بعض الكتب من النجاح لما تحمله من دلالات والعكس صحيح، فمنها من فشل لأن العنوان لم يستمل القارئ له، كما عرّفها محمود عبد الوهاب على أنها «بنية صغرى لا تعمل باستقلال تام عن البيئة التي تحتها»[3]، بل هي مرتبطة بالبنى الأخرى ومكملة للعناصر السردية المرتبطة بها.

فالعناوين تحيلنا إلى مستوى ثقافي فكري، يعبر عن ثقافة الروائي وعن الفعل الحركي للأحداث والواقع.

والرواية التي نحن بصدد دراستها "**أناشيد الملح**" تحمل دلالات غير مباشرة، الرواية للعربي رمضاني الصادرة عن منشورات المتوسط، والتي كانت أول عمل له في الساحة الأدبية استطاع أن يترك بصمته الأدبية من خلالها، وقد ساعده في ذلك انتماؤه إلى الصحافة.

عنوان النص الذي بين أيدينا "**أناشيد الملح**" مشكل من عنوان رئيسي وعنوان فرعي، إذ يحمل شيئا من الغموض لاحتوائه على العديد من الدلالات والإيحاءات والتي أعطت لمحة عما يدور في النص السردي، فالأناشيد ليست لها ملح؟ هذا العنوان يحمل معنى مجازيا، إذ أنه يوحي إلى الجثث التي بقيت في البحر الأبيض والتي صارعت المياه المالحة حتى لاقت مصيرها.

---

[1] نقلا عن: ضياء راضي الثامري: العنوان في الشعر العراقي المعاصر أنماطه ووظائفه، مجلة القاديسية في الأدب والعلوم التربوية، جامعة البصرة، كلية الآداب، المجلد التاسع، العدد الثاني، 2010، ص14.

[2] شادية شقروش: سيمياء العنوان في ديوان مقام البوح، الملتقى الوطني الأول للسيمياء والنص الأدبي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2000، ص 271.

[3] ضياء راضي الثامري: العنوان في الشعر العراقي المعاصر أنماطه ووظائفه، ص15.

كما أنها شهادات عائد من الموت حيث تطرق في هذا العمل إلى أبرز المحطات التي خاضها العربي رمضاني ورفاقه في تركيا واليونان، واستعرض مختلف الصعوبات والمعاناة التي يتعرض لها الحراقة.

نلاحظ أن عنوان الرواية جاء جملة اسمية "أناشيد" مبتدأ وهي مضاف "الملح" مضاف إليه، "سيرة" خبر وهي مضاف "حراك" مضاف إليه.

والمتأمل في كلمة أناشيد يرى أنها جاءت على صيغة الجمع ولم ترد على صيغة المفرد، دلالة على التعدد والتماسك والقوة، وهي جمع لكلمة أنشودة جاء في لسان العرب معنى الأنشودة: «هو من النشيد: رفع الصوت، وكذلك المعرّف يرفع صوته بالتعريف فسمي منشدا ومن هذا إنشاد الشعر، وقولهم: نشدتك بالله وبالرحم، معناه: طلبت إليك بالله وبحق الرحم برفع نشيدي، أي صوتي». [1]

والأنشودة هي اللحن أو معزوفة غرضها الاستمتاع والترفيه دلالة الأناشيد في الرواية: صوت البحر. ذلك الصوت يشكل معزوفة تثير الرعب والهلع في نفوس المهاجرين، فالكاتب هنا لخص لنا مدى خوف الحراقة، وهول منظر هيجان البحر.

تحدي الحراقة لأمواج البحر هي أنشودة في حد ذاتها رغم صعوبة ركوب تلك القوارب إلا أنهم فضلوا امتطائها والمخاطرة بحياتهم على العيش في موطنهم.

كما يمكننا القول أن الأناشيد تمثل الإغراءات التي تقدمها الدول الغربية للشباب العربي عموما والجزائري خصوصا، هذه الرحلات التي راح ضحيتها الآلاف من الشباب والعائلات بسبب الواقع الذي يعيشونه في أوطانهم، من مشاكل اجتماعية، سياسية ساهمت في جعل هؤلاء الناس يفكرون في الهروب.

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور: لسان العرب مادة(ن ش د) ص 4422.

- **الملح:**

جاء في محيط المحيط: «ملح: (م ل ح) ملحْتُ، أمْلحُ، اِمْلحْ: مص، ملْحُ، ملَحَ الطعام: جعل فيه الملح بقدر ملحٌ: ج أملاح: م ل ح رمز: مادة هشة بلورية قابلة للذوبان، لها طعم حريف، تستخدم من ماء البحر، أو من جوف الأرض، تصلح لتطيب الطعام، وتستخدم لتجفيف اللحم والسمك لحفظهما من التعفن». [1]

«الملح مادة يصلح بها الطعام ويطيب وهو صنفان مائي ومعدني ويسمى بالجبلي والبري ومن خواصه أنه يمنع من العفونات كلها، قال الشاعر:

بالملح يدرك من يخشى تعفنه * فكيف بالملح إذا حلّت به العفن»** [2]

«والملح هي المادة التي تجعل لماء البحر طعمه الخاص ويمكن الحصول عليه من طبقات الأرض الملحية أو من الملاحات البحرية التي تتكون بعد تبخر الماء، ويستخدم الملح بوجه خاص في تطيب الطعام وحفظه». [3]

ويمكننا القول أن الملح هي الأحلام التي ضاعت في البحر الأبيض المتوسط فأكلتها الملوحة، ويمثل الآمال والطموحات التي فرقت بين الأهل من أجل تحقيقها وتحدي كل العوائق التي تواجههم في رواية أناشيد الملح عرض العربي رمضاني المواقف التي تعرض لها المثقف ومكانته التي سلبت منه في موطنه، هذا ما دفعه للهروب والبحث عن ما هو أحسن وعن ظروف ملائمة لكن انتهى به المطاف في أوضاع أسوء ومنهم من غرق وآخرون عادوا إلى موطنهم.

- **سيرة حراك:**

مقتطف فرعي من العنوان، ومكمل للعنوان الرئيسي يكون عبارة عن كتابة أقل سمكا من العنوان الرئيسي ويتموقع تحته، كما أنه يوضحه وبهذا يصبح العنوان "أناشيد الملح، سيرة حراك".

---

[1] بطرس البستاني: محيط المحيط، ج8، باب اللام، باب الميم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ص 459.

[2] المصدر نفسه: ص 460.

[3] أنيس إبراهيم وآخرون: معجم الوسيط، مادة (م ل ح)، ص 883.

مفهوم السيرة

لغة: جاء في لسان العرب لـ "**ابن منظور**" أن «السيرة: الطريقة، يقال: سار بهم سِيرة حَسنة والسّيرة الهيئة» [1] . إذن هي الطريقة والهيئة التي سار بها الأوائل.

اصطلاحا: يعرف "محمد صابر عبيد" السيرة بأنها : «نمط سردي حكائي، ينتظم في فضاء زمكاني محدد» [2] إذ أنها تساهم في تحقيق التواصل بين الأفراد على مر الأجيال.

حراك: حراق: مفرد كلمة حراقة: وهو مصطلح يطلق على المهاجرين الغير شرعيين عبر قوارب الموت لأوروبا هذا العنوان يحيلنا إلى أن الروائي قدم سيرة ذاتية عن مغامرته في البحر وعن الأحداث التي تعرض لها، سيرة حراك قدمت مضمون الرواية قبل الولوج إليها وتصفح محتواها.

سجلت النخبة المثقفة حضورا في النص السردي، وهذا ما أراد العربي رمضاني أن يوصله، فالمثقف الحامل لشهادات جامعية لم يستطع أن يجد عملا ولا حتى ظروفا مناسبة للعيش.

كما صور أحوال المثقفين الجزائريين، ورصد مصيرهم الذي جمعهم في قوارب الموت، وصولا إلى الغربة، والتهميش الذي يتعرضون له، وبهذا صار لهم طعم الملح ذاته، ملح البحر الأبيض والذين سمعوا أناشيده.

- **العناوين الفرعية:**

وتحت العنوان الرئيسي تندرج مجموعة من العناوين الفرعية وهي لا تقل أهمية ودلالة عن العنوان الرئيسي من حيث الدلالة والقيمة وارتباطها بالمتن الحكائي، فهي عبارة عن نصوص حاملة لمجموعة من الأفكار داخل النص السردي، تكون لها علاقة قصدية بموضوع النص فبعد دراستنا للعنوان الرئيسي انتقلنا إلى العناوين الداخلية للرواية التي تقودنا إلى فهم أغوار النص وفك رموزه حضور العناوين الجزئية في رواية "أناشيد الملح" للعربي رمضاني في شكل فصول عددها ستة عشرة فصلا مركبة من جملة ذات معاني:

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، مادة (س ي ر)، بيروت لبنان، مجلد7، ط4، 2005، ص307.

[2] محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، عالم الكتب الحديث، إيريد، ط1، 2007، ص109.

1- فشل في النوم.

2- كلنا أفارقة.

3- موعد مؤجل مع البحر.

4- بوابة العذراء.

5- المخيم الجحيم.

6- قلب في ساموس وعين على أثينا.

7- باخرة العبور.

8- هروب وانتظار.

9- محطة جديدة.

10- نزاعة الأمن والمهربون الأفغان.

11- أمل وخيبة.

12- ظهور البصمة.

13- سجن الآدابون.

14- المرض يهزمنا.

15- العودة إلى البداية.

16- رفاق الرحلة والسجن.

1- فشل في النوم:

هذا العنوان هو تعبير عن هواجس الحياة وإحالته إلى قوة الطموح والرغبة في الهجرة، وهذا ما دفعه إلى عدم القدرة على النوم بسبب ابتعاده عن والدته التي تركها تبكي لفراقه.

كما يحيلنا إلى فرحته وسعادته في السفر والوصول إلى الدول الأوروبية من أجل تحقيق أهدافه وأحلامه التي بقيت مدفونة في بلده.

2- كلنا أفارقة:

مثل هذا العنوان الوعاء الاجتماعي للحراقة الذين ينتمون إلى البلدان الإفريقية (الدول الفقيرة)، وهو خطاب الإنتماء.

كما يدل على مشاركة الهموم والصعاب، لأن الحراقة هربوا من أوطانهم النائية الضعيفة التي لم تمنح أدنى شروط الحياة لسكانها، بسبب المشاكل الاجتماعية وفساد السلطة.

3- موعد مؤجل مع البحر:

تأجيل الرحلة المنتظرة التي من شأنها أن تحقق الحلم والوصول إلى الدول الأخرى والذي يمثل شمعة أمل للكاتب وبقية المهاجرين.

تناول مختلف التفاصيل في كيفية الوصول إلى الدول الأخرى.

4- بوابة العذراء:

يحيلنا هذا العنوان للوصول إلى ساموس وهي بوابة الحلم، ويشير إلى ثقافة الآخر التي يسعى لها الحراقة في مختلف الدول الإفريقية، فراح يصف كل الملامح وشبهها بمريم العذراء.

5- المخيم الجحيم:

يمثل هذا العنوان لحظة الحقيقة واكتشاف جانب من الآخر، وقد مثله العربي رمضاني في المعاملة السيئة التي لاقوها في المخيم، إذ لا تتوفر فيه شروط الحياة، ورداءة الخدمات والتهميش الذي يتعرضون له، كذلك تعدد الثقافات والأديان هذا ما زاده قساوة.

6- قلب في ساموس وعين على أثينا:

تعلق السارد بمدينة ساموس والتي افتتن بجمالها ومعالمها التاريخية، وبكل تفاصيلها فهي رحلة البحث عن العطف والحنان الذي يفتقده الشباب في موطنهم، يقول:

«أتوسل إليك سيدتي ساموس

اقبليني لاجئا عاطفيا

يتمنى أن تحتويه ساموس ويصبح من أحد سكانها». [1]

7- باخرة العبور:

الوسيلة التي يستعملها الحراقة للعبور إلى الدول الأوروبية، فقد حاول الوصول إلى أثينا عدة مرات من خلالها، لكنه فشل في ذلك، إلا أنه ظل يحاول حتى تمكن من الصعود ومغادرة ساموس إذن تمثل بداية اكتشاف الحقيقة.

8- هروب وانتظار:

يمثل هذا العنوان الصدمة أو لنقل هي نتيجة بداية الصراع والابتعاد عن الواقع المرير وانتظار اللحظة المناسبة للخروج منه، إذ حاول الكاتب ورفاقه الهروب من أثينا لكنهم فشلوا في ذلك.

يواصل الكاتب حديثه عن رحلته لكن في محطة جديدة، فبعد توديع الرفاق ومغادرة المخيم قام العربي رمضاني ومن معه بحجز تذكرة إلى باتراس متأملين غدا أفضل في الاتجاه إلى إيطاليا، لكن هذا الأخير وقع في عشق هذه المدينة الساحرة بمناظرها ونسائها الفاتنات «في أي مكان نمرّ منه، به جميلات كحبّات مطر، تنقر بستان ورد متنوعًا، ....الجمال هناك نادر جدا، وفريد وغامض...». [2]

---

[1] الرواية: ص 131.

[2] المصدر نفسه: ص 200.

فالملاحظ على الكاتب أنه مندهش ومتحسر على وطنه على الجزائر التي تفتقد الفرح والسعادة والأمل «الجميلات يرقصن بكل غنج، الشعب اليوناني عاشق للحياة والفرح، لا شعور بوجود أزمة مالية أو تقشف». [1]

فهو يبحث عن بصيص أمل عن شمعة لا تنطفئ بعيدا عن التهميش والحزن والحرمان «نحن الذين كبرنا وسط برك الدم وصيحات الأطفال والثكالى، نشتهي ومضة فرح» [2]،والهدف من هذا هو تعرية هذا الحلم والأمل وكشف الحقيقة الملتبسة على الشباب الذين يعانون من ويلات الوطن الذي تربوا وترعرعوا فيه، ليجدوا أنفسهم معزولين عنه،ويعيشون في غربة داخله وكأن العربي رمضاني يشكو بثّه إلى جمال باتراس فيقول:

«باتراس جئتك أنزف

أبحث عن ضمادات لروحي معقمة بالنبيذ» [3]

فزّاعة الأمن والمهربون الأفغان:

فالمقصود من هذا العنوان هو الحضور القوي لرجال الأمن والخوف الذي كان يتسبب فيه، حيث كانت مدينة باتراس الساحلية على مشارف إيطاليا مكتظة بالأمن وهذا ما خلق نوعا من لا استقرار وفزع وسط المهاجرين.

أمل وخيبة:

أجمل ما في الحياة أن تبني جسرا من الأمل على نهر من اليأس، فالأمل هو تلك النافذة الصغيرة التي مهما صغر حجمها إلا أنها تفتح آفاقا واسعة في الحياة وما أصعب الخيبة وأنت تركض وراء أحلامك وآمالك فتجد

[1] المصدر نفسه: ص 201.
[2] الرواية: ص 202.
[3] المصدر نفسه: ص 203.

نفسك بين جدران شاحبة، فتلك حال العربي رمضاني الذي حاول عبور البحر فنجح، وعند الوصول إلى ميناء باري اكتشف أمره من طرف الأمن وسبب ذلك جزائري إلتقاه في الباخرة أفسد كل خططه وكان حاجزا كبيرا بينه وبين أحلامه «رغبت في تمزيق وجه هذا السافل الذي سلطته عليا الأقدار الظالمة ورمي جثته العفنة في البحر، لأنه أفسد الخطة كلها، كنا على بعد خطوات من تحقيق الحلم» [1]، ثم أُفرج عنه وعاد إلى رفاقه بخيبة أمل ونفسية محطمة لكن مرة أخرى وجد نفسه في زنزانة مظلمة، فحينها تحطمت جميع أحلامه وانطفأت شمعة الأمل، بكى بصمت داخله نذوب وخذلان في ذاته «شعرت بأنني مكبّل في الزنزانة أجنحتي تم قصّها، رغباتي الجامحة في التحليق انتحرت». [2]

ظهور البصمة:

تعتبر البصمة بمثابة الحاجز الذي يعترض طريق المهاجرين لأنها تظهر المعلومات الحقيقية " بصمة الأصبع هي نتوءات بارزة في بشرة الجلد" التي طالما أخفاها المهاجرون، وهذا ما كان يخشاه العربي رمضاني فعند تأديته للبصمة اكتشف أمره أنه ليس ليبيا «شعرت بانقباض شديد بعد أن ظهرت هويتي الحقيقية». [3]

وانتهى به الأمر داخل الزنزانة وتحت تصرف وسطوة رجال الشرطة الأوغاد الذين يفرضون سيطرتهم على المهاجر الضعيف.

سجن ألادابون:

تمثل هذا الجزء من الرواية في السجن المكان المغلق المنعزل عن المجتمع السالب للحرية، يرتبط دائما في ذهن الإنسان بالعقوبة والحرمان، فقد عاش العربي رمضاني الأمر نفسه إذ سجن في سجن ألادابون، سجن يقع وسط

[1] الرواية: ص 223.
[2] المصدر نفسه: ص 233.
[3] المصدر نفسه: ص 246.

أثينا هو أكبر السجون لكنه قفص موحش تغيب فيه كل وسائل الراحة، لاسيما المعاملة السيئة واللاإنسانية الصادرة عن رجال الشرطة «السجون اليونانية، كما لاحظت إلى الآن غير إنسانية تماما وتتنافى مع معايير حقوق الإنسان التي يتشدق بها الاتحاد الأوروبي». [1]

وفعلا كانت فترة السجن فترة في شدة المرارة زنزانة مظلمة، انعدام الحرية والاستقرار «فالليل في السجن معزوفة ثقيلة ومملة، كنت أشعر أن الثواني تمرّ كالأعوام». [2]

المرض يهزمنا:

نلاحظ أن العنوان عبارة عن مسند ومسند إليه، يهزمنا ومسند والمرض مسند إليه، كما جاء على صيغة الجمع وكأنه يقول نحن وهذا للدلالة على الاشتراك في الهزيمة.

فمن مرارة السجن إلى لعنة المرض الذي لم يكن في الحسبان والذي كان سببا رئيسيا في تحطيم حلم العربي رمضاني، حيث كانت رغبته شديدة ومصمما عبور البحر والوصول إلى المبتغى، لكن شاءت الأقدار ووقع تحت تأثير الألم «فرغم الخيبات كلها بقيت لآخر لحظة مصمما على المحاولة، لكن ذلك الظرف داهم حلمي، وحطّمه تماما». [3]

فقد فرّق بين رفاق المغامرة وبسبب المرض غادروا دونه وتحطمت مشاريعهم ومخططاتهم المشتركة في إتمام الهجرة «مرّ عليّ أسبوع في المستشفى، لا القنصل جاء، ولا الدكتور سمح بمغادرتي، كنت أرغب بشدة في العودة إلى السجن حتى أغادر مع الرفاق...». [4]

---

[1] الرواية: ص 279.

[2] المصدر نفسه: ص 281.

[3] المصدر نفسه: ص 306.

[4] المصدر نفسه: ص 309.

العودة إلى البداية:

يمثل عنصر الخيبة والفشل، فبعد كل الصعاب والعقبات التي مرّ بها العربي رمضاني صدر قرار الترحيل إلى مخيم "موندليزا" فشل التجربة والعودة مجددا إلى أرض الوطن، حيث البؤس والشقاء والمعاناة والتهميش «سأعود إلى الجزائر، وبداخلي انكسارٌ طفيف، ستعالجه سعادة الوالدة». [1]

ورغم كل ما حدث معه في اليونان إلا أنها كانت تجربة مفيدة علمته الصبر والمحاولة رغم الفشل.

رفاق الرحلة والسجن:

كان هذا آخر عنوان وآخر جزء في الرواية فلم يكن على العربي رمضاني إلا أن يقوم بتدوين ما آل إليه رفاق المغامرة، فهناك من عاد إلى الجزائر وهناك من استقرّ في بلدان أوروبية وشاءت الأقدار وانتقل اثنان من رفاقه إلى ذمة الله.

وفي الأخير يمكننا القول أن العناوين هي توجيه لمقاصد الكاتب وهي عتبات ولوج القارئ فيستحضر هذا الأخير معارفه وثقافته من أجل تحليل العنوان والوصول إلى المغزى الذي يدور حوله النص، وعادة ما يكتب العنوان بأحرف كبيرة، لدلالة على أهميته، ويندرج غالبا تحته عنوان فرعي يكون تكملة للعنوان الرئيسي، كما يمكن أن تكون هناك عناوين جزئية داخل المتن الحكائي تعبّر عن كل فقرة في الرواية، وتكون هذه العناوين مرتبطة ببعضها البعض مثل ما رأينا في رواية أناشيد الملح.

[1] الرواية: ص 330.

المبحث الثاني: المتن الحكائي والمستويات الثقافية في الرواية

المستوى الاجتماعي:

عكست رواية أناشيد الملح عدة تمظهرات ثقافية من خلال مستويات إفهامية وتعبيرية متعددة منها المستوى الاجتماعي، حيث عمل الروائي على رسم ما آل إليه المجتمع الجزائري عامة والمثقف خاصة.

فبعد العشرية السوداء تغيرت ملامح المجتمع الجزائري وتفاصيله، وتشتت عاداته وتقاليده «بعد عشرية دامية في التسعينات فقدت المنطقة بريقها، غادرها معظم سكانها وذهبت مظاهر البهجة التي كانت تميزها، اختفت "التويزة" وطقوس الأولياء الصالحين وما يرافقها من احتفالات وألعاب، حتى الأعراس فقدت نكهتها...». [1]

لاسيما المثقف الذي عاش التهميش بكل أشكاله بطالة مقننة، ضياع في اللا جدوى إذ لم يكن هناك فرص من أجل إثبات الذات، حيث أصبح الوطن بالنسبة إليه عبارة عن قبر مظلم يحكمه الظلم والاستبداد والفساد «لابد أن أذكر في البداية أنه قد مرت سنوات على تخرجي في الجامعة بعدها أتى دور الخدمة الوطنية وأديتها وكل ما تمكنت منه خلال ما مر من هذا الوقت هو التقدم في السن لا أكثر....لا يوجد ما يشجع على البقاء نظام شاخ وهرم وأفلس» [2]، حيث غابت معالم الحياة المحترمة في الجزائر ولم يعد الشباب الجزائري يحتمل الوضع أكثر من ذلك فلابد من عدالة اجتماعية، إذ لم يبق في نفوس الجزائريين غير بقعة سوداء أدت بهم إلى مسالك سيئة وخطيرة.

---

[1] الرواية: ص 13.

[2] المصدر نفسه: ص 11.

«فارس قتلته الجزائر الرسمية التي أكرمته بالسجون والتشرد، ودخول عالم الجريمة ولم تترك له إلا حلم "الحرقة" رغم جحيمها وقسوتها» [1]، فقد عملت هذه الأسباب مجتمعة على تفشي الآفات الاجتماعية كالخمر والمخدرات، إذ أصبح معظم الجزائريين يدمنون عليها ونجد من خلال قول العربي رمضاني الذي يتحصر على هؤلاء الشباب كونه من النخبة المثقفة «الإدمان هناك منتشر بكثرة في أوساط معظم الجزائريين، مما يضاعف من عدوانيتهم». [2]

فقد أثر الوضع الاجتماعي في الجزائر على سلوكه وأدائه، حيث أصبح يقوم بأعمال شنيعة وصلت إلى حد السرقة «شاعت أخبار كثيرة عن حدوث سرقات في المخيم، يقوم بها بعض الجزائريين داخل المخيم وفي المدينة» إذ صارت كل التّهم لصيقة بالمهاجر الجزائري وأصبح محل شبهات الأمن اليوناني والمهاجرين أيضا.

المستوى الثقافي:

لم يكن اختلاف الجنسية والدين والثقافة عائقا بين المهاجرين، فقد جمع بينهم واقع مرير وتدمرهم من الأوطان التي هاجروها إذ أن معظمهم من فئة المثقفين وحاملي شهادات جامعية، يقول العربي رمضاني «وصل رفقاء رحلتي، زملاء دراسة وأصدقاء جمعنا الحلم في الهروب ونحن خريجو جامعات لم نوفق في الحصول على وظيفة في جزائر العزة والكرامة» [3]،كان هدف المهاجرين واحد هو تغيير الوضع الذي آل إليه الوطن وإثبات ذواتهم.

وقد استشهد الروائي ببعض الشخصيات موضحا مستواهم العلمي والثقافي، ونذكر على سبيل المثال لا للحصر:

«عبد الرحمان طالب طب هرب إلى تركيا من حلب قبل سنتين، بعد أن وصله استدعاء الخدمة العسكرية». [4]

---

[1] الرواية: ص 327.

[2] المصدر نفسه: ص 188.

[3] المصدر نفسه: ص 14.

[4] المصدر نفسه: ص 81.

«محمد أمي ناهامات ابن محافظة ميرسين التركية خمسيني كان أستاذ علم النفس انتهى به الأمر في الزنزانة». [1]

« مازن شاب فلسطني حاصل على ليسانس محاسبة يحلم بالوصول إلى بلجيكا». [2]

«يحي شاب جامعي لم يجد أملا في الجزائر». [3]

كما تبين المستوى الثقافي من خلال الإجابة التي قدّمت للضابط ستافروستن والمتعلقة بسوريا «ودّعنا الضابط المحترم ستافروس، كان بإمكانه أن يزجّ بنا في السجن، لكونه المسؤول عن أمن المخيم، لكنه عاملنا بطريقة خاصة بعد أن عرف بأننا حملة شهادات جامعية، هربنا من أوطاننا بحثا عن حياة كريمة للعيش». [4] كما عبّر العربي رمضاني عن مدى احترامه للوطن الأخر.«عذرا، سيدي، كذبت كما أخبرتك من أجل الوثائق، أنا أحترم وطنك، أرض الفلسفة والحضارة وبلاد سقراط وأفلاطون». [5]وهذا يعني مدى تحضّره والوعي الذي يحمله.

ومن خلال أحداث الرواية نلاحظ الثقافة والفكر الذي يحملهما هذا الأخير من خلال الشجار الذي وقع بين الجزائريين والسوريين لقوله: «شعرت بمرارة كبيرة وأنا أتابع ما يحدث، ولم أرغب في مسايرة تلك الرعونة التي لم يبال أبطالها بالنسوة والأطفال الذين كانوا مرعوبين لم تتحرك غريزة الانتماء لدي، ولم تنتعش عصبيتي للجزائريين». [6]

[1] الرواية: ص 234.
[2] المصدر نفسه: ص 229.
[3] المصدر نفسه: ص 122.
[4] المصدر نفسه: ص 108-109.
[5] المصدر نفسه: ص 191.
[6] المصدر نفسه: ص 237.

كما يقوم العربي رمضاني بدور محوري في الرواية من خلال الإرشادات التي يوجهها إلى المهاجرين وتوعيتهم، وهذا مع الشاب العاصمي القاصر الذي قام بعملية سرقة «عاتبته كثيرا على العمل الشنيع الذي قام به، ولم يرد بكلمة ربما من الخوف أو من الندم». [1]

المستوى الديني:

يمثل الدين جزءا كبيرا من ثقافة المجتمع كما يعكس ويصور منظومته الفكرية، ما جعله يحتل مكانة كبيرة في النص الروائي الجزائري، فالرواية هي مرآة عاكسة لصورة المجتمع وكاتب الرواية.

ومن خلال دراسة أحداث الرواية التي بين أيدينا نلاحظ أن الإنسان رغم بعد المسافات يبقى محافظا على دينه كونه دليل ثقافته. ونلمس هذا من خلال مقطع من مقاطع الرواية «يقع المخيم على ظهر الجبل، لم أرغب في اكتشاف عوالمه، عند مدخله أفراد يحملون مطويات تبشر بالمسيحية، وأناجيل بلغات عديدة لم آت إلى هنا بحثا عن دين آخر، الأديان لم تحل مشاكلي ديني الوحيد الرفض وتأمل عيون النساء» [2]، ذلك يعني أنه ورغم البحث عن أمل واستقرار في بلاد الغرب، فهذا لا يعني الإنصهار تماما في الثقافة الغربية.

وفي موقف آخر حضر الدين بصورة واضحة من خلال حديث دار بين المغربي والحلاق الفلسطيني حيث «سأله المغربي "لماذا لا تصوم؟ ليردّ عليه هنا مسافرين، هنا طيور الله المهاجرة، كل شيء مباح لنا، ما دمنا في سفر». [3]

فالمتخيل في هذه العبارة يبدو وكأن الفلسطيني يستحضر الآية الآتية: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ**

[1] الرواية : ص 237.

[2] المصدر نفسه: ص 122.

[3] المصدر نفسه: ص 174.

مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[1] (سورة البقرة، الآية: 183-184).

كما نلاحظ أيضا أنه ورغم الصعاب التي مرّ بها المهاجرين وفقدانهم الأمل في الحياة إلا أنها لم تنسهم ذكر الله ونستدل بهذا من أحد مقاطع الرواية «راح حازم المصري بعد أن زالت رهبته منّا يحاضر عن تقوى الله، وضرورة التمسك به، والإيمان بقدرته»[2]، هذا دليل على تمتعهم بقوة إيمان وتمسكهم بالله في أشد وأصعب أوقاتهم.

المستوى السياسي:

من أهم القضايا الكبرى التي يعاني منها المجتمع هي قضية هيمنة النظام السياسي المستبد، مما جعل الرواية تصبّ اهتمامها حول هذا الواقع السياسي، ويعود هذا إلى الارتباط الناشئ بين الروائي والمجتمع، فقد استطاعت هذه الأخيرة احتواء التغيرات السياسية التي هزّت كيان المجتمع.

والمتطلع على «الواقع السياسي العربي، يجده قاسيا ومؤلما، لأن المواطن يعاني معاناة شديدة الوطأة من ترهّل أغلب الأنظمة العربية الحاكمة المسؤولية عن الهزائم التي لحقت بالمجتمع العربي، ومن تسلط آليات قمعها على رقاب الجماهير، وتغييبها للديمقوقراطية، وسلبها للحريات العامة وملاحقتها للمثقفين». [3]

أصبح الواقع السياسي العربي المؤلم تهديدا كبيرا على حياة المواطن، إذ لا يوفّر له الحياة الكريمة التي يطمح إليها، كما لا يهتم لشؤونه وأبسط متطلباته. ويعدّ هذا الواقع المؤلم والمستبد أكبر عائق يعترض طريق المثقف.

وكون "العربي رمضاني" من فئة المثقفين لم يتقبل هذا الواقع المؤلم والذي يسلبه حريته فيطمح إلى التغير نجد هذا في قوله « لهذا فإن الحرقة أو الهجرة غير الشرعية، ليست سوى مرحلة أولى، كردّة فعل عن منظومة حاكمة،

---

(1) سورة البقرة الآية { 183-184 } برواية ورش.

(2) الرواية: ص 81.

(3) مرشد أحمد: إشكالية تغيير الواقع السياسي في رواية شرق المتوسط، مجلة جامعة سبها، كلية العلوم الإنسانية، المجلد السادس، العدد الثاني، 2007، ص 42.

قبل أن تتحول إلى هجرة عكسية أخرى، وهذا ما لا ينظر إليه القائمون على شؤون الناس في الجزائر، يطلقون فتاوى وقوانين استعجالية، للتضييق على حريات الأفراد». [1]

فالهجرة غير الشرعية كانت المنفذ الوحيد للابتعاد عن حكام البلد المستبدين والذين يسعون إلى تضليل الشعب بكل الوسائل الممكنة، وهذا من أجل غاياته ومكاسبه، ونستدلّ بهذا من خلال قوله: «اليونان محلّ إقبال كبير من طرف شعوب الشرق الأوسط والأدنى، بالإضافة إلى شمال إفريقيا، تحديدا الجزائريين الذين ركبوا الموجة، ولهم أسبابهم الخاصة، بحكم الوضع المزري في الجزائر، يقول ساستها وإعلامها الرسمي البائد أنها أصبحت قوة إقليمية، مع العلم أنها منذ سنوات بلا رئيس، وتسبح في مستنقع من الفساد والشعبوية والعبث بمصير شعب وبلد أغلبيته الساحقة شباب». [2]

وقد تجسد هذا الأمر أيضا من خلال الحوار الذي دار بين العربي رمضاني وأحد المهاجرين

«لماذا هاجرت من الجزائر؟

لا يوجد أمل هناك

متزوج؟

لا

درست؟

نعم، تخرجت في الجامعة

[1] الرواية:ص:9

[2] المصدر نفسه: ص 47.

الجزائر فيها بترول، صح؟

وفيها مافيا أيضا» [1]

فالواضح من خلال هذا المقطع أن العربي رمضاني متذمر من الواقع السياسي الذي آلت إليه الجزائر، ومن خلال الرواية أيضا نرى تجلي بعضا من هذه المعاملات السيئة والذنيئة في رجال الشرطة «شكير نجح في استمالة شرطي، ودفع له رشوة من أجل أن يمنحه هاتفه». [2]

ومن هنا نلاحظ مدى استغلال المناصب والسلطة من أجل مكاسب مادية، كما يعمدون إلى اعتقال المهاجرين دون تهم موجهة إليهم، وهذا من خلال قول العربي رمضاني «يا لهم من أشباه رجال ! كان يمكنني أن أتمادى معه، اغتنم فرصة تواجده مع معاونيه، كما أنه تفادى كاميرات المراقبة خشية أن يتطور الأمر لاحقا، إن تعرض لنا " يا أبناء الـ..... تخدعون بلا أدنى رجولة...». [3]

من خلال ما سبق نرى أن هناك طلاق بين النخبة المثقفة والنخبة السياسية إذ اتصفت العلاقة دائما بين المثقف والسلطة بالتوتر إذ يعمل هذا الأخير على تحليل الواقع تحليلا دقيقا ملتبسا سلبياته وإيجابياته ويطمح إلى تجاوز العالم آملا في مستقبل زاهر، والكشف باستمرار عن قوى خلاقة جديدة في الكون وإجراء تغييرات جذرية.

أما السياسي يريد أن يبقى العالم كما هو حفاظا على سلطته، فالسياسي بطبيعته، ذو عقل محافظ يخشى كل تغيير فهو دائما يقف في وجه التغيير وبالنسبة إليه الحاضر معلوم والمستقبل مجهول.

إلا أنّ النخبة السياسية غير ديموقراطية ولا تعترف بأهمية نشاط المثقف ومعرفته في الحياة وخاصة الحياة السياسية.

---

[1] الرواية: ص 249.

[2] المصدر نفسه: ص 259.

[3] المصدر نفسه: ص 247.

ورغما عن نقاط التباعد والتعارض بين السياسي والمثقف فلا غنى عنهما لأن وجودهما ضرورة حضارية كليهما بحاجة للآخر.

تمكنت رواية "أناشيد الملح" من استيعاب مشكلات المجتمع الجزائري، كما نجح العربي رمضاني في رسم ونقل طموحات وآمال وآلام الشباب عامة والمثقف الخاصة، فقد صورت هذه الرواية الأحداث والتغيرات التي مسّت مختلف الأصعدة سواء الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية أو الدينية.

ومن خلال ما سبق نرى أن هذه المستويات الدلالية ارتبطت هذه الشخصية المتأثرة واليائسة من الواقع المزري الذي بات يهدد النخبة المثقفة وعبّر عن هذا البطل المثقف العربي رمضاني، إذ حمل هذا الأخير هموم الشباب ومشاغلهم وسعيهم نحو الفضل، وتغيير الوضع الاجتماعي، كما أبرزت مدى حكر السلطة السياسية على المثقف وكيف تعترض طريقه وتقيّده باستمرار.

المبحث الثالث: من المكان إلى ثقافة الشخصية

اهتم الدارسون والمفكرون على مرّ العصور بعنصر المكان، واعتبروه أحد أهم المكونات الحكائية التي يقوم عليها النص السردي، كما أنه يمثل المكون الأساسي الذي يفرضه الحدث في الرواية، وهذا لما يحمله من دلالات متنوعة وعلاقات مختلفة تربط الإنسان بواقعه المكاني، فيتفاعل كل منهما مع الآخر، لتنشأ العلاقة المزدوجة بينهما.

مفهوم المكان:

عرف المكان على أنه: «مكون محوري في بنية السرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، ولا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين». [1]

فالأديب من خلال هذا التعريف يتعامل مع المكان بخياله الواسع ورؤيته الخاصة، فكل حدث له مكان، ولا يمكن الفصل بينهما.

والمكان «ليس عنصر زائد في الرواية، فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة، بل قد يكون في بعض الأحيان الهدف من وجود العمل كله»، [2] أي أن الحدث الروائي يخلق من خلال المكان، وهو الذي يمده دلالات ومعاني كثيرة، فالشخصيات الروائية لا يمكن أن تلعب دورا في الفراغ دون تحديد المكان، إذن هو «دالة حركية ثقافية لها قوانينها المعرفية يفصح عن وجوده وفعله من خلال إمكانية قدرته على التفاعل الحي بين هذه العناصر»، [3] أي أن المكان يكوّن تفاعلا بين الحدث والشخوص فتخضع باقي المكونات لقوانينه ومعاييره ومبادئه التي يحددها الطابع الفني.

---

[1] محمد بوعزة: تحليل النص (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م، ص 99.

[2] حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمان، الشخصيات)، المركز الثقافي، لبنان، ط1، 1999، ص 33.

[3] فارس عبد الله بدر الرحاوي: ثقافة المكان في الشخصية الروائية، رواية (ليلة الملاك) أنموذجا، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد2، 2011/09/13، ص 263.

إلا أن بعض المفكرين اعتبروا عنصر المكان هامشيا في الرواية، لكن سرعان ما انقلبت المعايير وأكد النقاد على أن « أهمية المكان لا تختلف عن أهمية الزمان أو الشخوص لأنه لا يمكن أن نتصور أحداثا تقع خارج المكان بل لابد من أن تقع في فضاء مكاني حقيقي، أو يصوره الكاتب بواسطة اللغة». [1] بمعنى المكان يكشف فعل الشخصيات وحركتها وهو عنصر فعال في الرواية، إذ لا يمكن تصور حدث روائي بعيدا عن الحضور المكاني.

قسم المكان إلى قسمين مغلق ومفتوح، وفي رواية أناشيد الملح تعددت الأمكنة المفتوحة والمغلقة باعتبارها أكثر الثنائيات المهيمنة على النصوص السردية.

1- **الأماكن المفتوحة**: للأمكنة المفتوحة أهمية بالغة في العملية السردية، تحمل دلالات مختلفة تكون متصلة بالشخصيات فتزيدها جمالا وحرية وانطلاقا، ومنه فإن المكان المفتوح «حيز مكاني خارجي لا تحده حدود ضيقة، يشكل فضاءا رحبا وغالبا ما يكون لوحة طبيعية للهواء الطلق». [2]

بمعنى أنه فضاء مفتوح من مختلف الجوانب، يكون مصدر الشعور بالحرية والقوة والأمان الذي يحلم كل إنسان للعيش فيه، والطبيعة أول الأماكن التي يرتاح الفرد فيها، باعتبارها مصدر طمأنينة.

جاء المكان في رواية أناشيد الملح فضاء مفتوحا بين الجزائر وتركيا واليونان، وأسهمت محاولة الكاتب "العربي رمضاني" الإبداعية على التصوير ورسم المكان الذي دارت فيه الأحداث وصفا دقيقا.

كما أنه مال إلى الوصف الجغرافي للأمكنة واستطاع أن يضفي انطباعاته من خلال أحداث الرواية التي كانت عبارة عن سيرة ذاتية. فراح يصف كل ما يراه ويقارن بين بلده والبلدان الأخرى، من مناظر وبنايات وأحداث، وكل ما هو مغايرا عما كان يراه ويدركه في موطنه.

---

[1] ادريس بودية: الرؤية والبنية في رواية الطاهر وطار، شركة انشغال للطباعة، قسنطينة، ط1، 2000، ص 180.

[2] فرحان بدري الحربي: بنية المكان في قصص (حراس المعبد) لحسين عبيد عيسى، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد 39، حزيران 2018، ص 998.

- **الجزائر** :

تمثل الجزائر الوطن الذي ترعرع فيه الكاتب، إلا أنه يراه مجرد قبر مظلم، لأن هذا الوطن لم يمنحه أحلامه ومتطلباته ولم يحقق له رغباته، رغم تخرجه من الجامعة، إلا أنه وجد نفسه عاطلا عن العمل لسنوات عديدة.كما مثلت الحلم والطموح والرغبة، وكل شيء جميل كان ينشده هذا البطل،إلا أن الحقيقة مثلت عكس ذلك حيث تحول الوطن إلى مقبرة للأحلام والطموحات، فماتت تلك الرغبات والأحلام.

يقول: «كبرنا وسط برك الدم وصيحات الأطفال». [1] للعشرية السوداء أثر في نفس كل جزائري عانى من ويلات تلك الأحداث والعربي رمضاني (السارد) يرسخ هذه الأحداث التي قتلت وحطمت أحلام الشباب في تلك الفترة يقول: "نشتهي ومضة فرح"، رغم كل ما يحدث من عنف كان لهم أمل في بزوغ النور وتفائلهم بما هو قادم.

«نحن أبناء تلك العشرية القبيحة الملوثة بالدخان الأسود» [2]، هذه التراكمات وزعت في نفسه الرغبة في الهجرة إلى بلد آخر، لعله يجد فيه ما لم يجده في وطنه، ومن خلال الرواية يحيلنا الكاتب إلى نظرة المثقف إلى موطنه والتي هي نظرة ازدراء وسخرية، فرغم ثروات بلده لم تتمكن من تحقيق مطالب شعبها.

- **تركيا**:

هي الرابط والنقطة الفاصلة بين الأنا والإنتماء الآخر فقد خلقت نوعا من المقاربة الثقافية الفكرية والاجتماعية بينها وبين بلده الجزائر، فكرست بداخله الشعور بالخيبة والانكسار، يقول: «مطارها لا يقارن بمطار الجزائر» [3]،«الجزائر لا تملك مطارا محترما» [4] كان يتأمل كل منظر يراه ويقارنه بالجزائر التي ضاعت في يد الخيانات كما يقول.

---

[1] الرواية: ص 203.

[2] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه: ص 17.

[4] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

تركيا لها موقع استراتيجي مهم تجذب السياح لها، وتنوع ثقافي اجتماعي مذهل مقارنة بالجزائر.

- **إسطنبول:**

يمثل هذا المكان ،مدينة سياحية يلجا إليها المهاجرون للوصول إلى الآخر،والتي انبهر بها الكاتب وبخدماتها التي لم يجدها في بلده، إذ عبر عنها بإسطنبول الجميلة، فقد أثرت على نفسية الكاتب وعلى عواطفه.

- **أزمير:**

مثلت محطة الانطلاق للوصول إلى اليونان من خلال بحر ايجه الذي حصد الآلاف من الأرواح، وصف شواطئها ومقاهيها المزدحمة، إذ يقول أنها «تشبه مقاهي الجزائر». [1] وهي أيضا نقطة إنطلاق الحراقة،إذن هي نقطة التجميع وبالتالي هي رمز الإنفتاح الكلي على كل الجنسيات.

- **المطار:**

يحتوي على دلالات ووظائف مختلفة إذ يعطي نوعا من التفاؤل للسفر من أجل تحقيق أحلامه التي ضاعت في وطنه، والتحرر من القيود التي جعلت منه إنسان بلا طموح وأهداف، فالهروب من الأوضاع المزرية والبطالة التي يعاني منها، فالرحيل كان أفضل قرار اتخذه العربي رمضاني، يقول: «وصلت صباح الأربعاء إلى مطار الجزائر الدولي»، [2] من هنا بدأت الرحلة المنتظرة والتي من شأنها أن تخلق إنسانا آخر.

- **مطار أتاتورك:**

ثاني محطة في رحلته، يقول أنه« مطار ضخم جدا» [3]، والتنظيم فيه جيدا على عكس ما لاحظه في وطنه الذي اعتبره بلد خرج لتوه من حرب.

---

[1] الرواية: ص 48.

[2] المصدر نفسه: ص 14.

[3] المصدر نفسه: ص 17.

- **اليونان:**

مثلت نوعا من المقاربة الثقافة بين ثقافة الآخر وثقافة الكاتب، فاليونان موطن العلماء والفلاسفة، والاختلاف العرقي والديني مركب من رسم ملامح مغايرة بما هو سائد في موطنه الأصلي، كما تمثل نقطة عبور إلى الدول الأخرى.

- **ساموس:**

مدينة يونانية،جاءت كمحطة هامة في رحلة الكاتب، قدم لنا ملامحها من خلال وصفه لها بالقول أنها «غجرية رومانية خجولة» [1]، أعجب بها وبسكانها فساموس مدينة فرح تغريك مدنيتها وبحرها،حتى أن البطل تعلق بها فكانت بوابة لأحلامه.

- **أثينا:**

عاصمة يونانية تمثل مظهر من مظاهر التحرر، من الوصف إلى هواجس ثقافية فكرية، يقطنها العديد من المهاجرين الذي هربوا من أوطانهم، إلا أن الكاتب لم يجد مبتغاه فيها يقول: «مدينة شاحبة بلا ملامح». [2] أحلامه انتهت فيها بدخوله السجن ومرضه المفاجئ، فهذه المدينة التي عرفت على مر التاريخ باحتوائها كل الأجناس والأعراق ونجدها وفية لهذا التاريخ.

- **باتراس:**

مدينة يونانية صور فيها الحياة المغايرة والتحرر الثقافي والديني، صورة مخالفة عما هو سائد في الجزائر، إذ أنها تحمل نمطية الآخر شبهها « بآلهة البحر». [3]

---

[1] الرواية: ص 115.

[2] المصدر نفسه: ص 155.

[3] المصدر نفسه: ص 202.

- **البحر:**

يعد من الأماكن المفتوحة الواسعة الأطراف، يقصده الناس لطلب الراحة والاستجمام، يحمل في غالب الأحيان ثقافة اليأس ومحاولة إيجاد بديل يساعد على تحقيق الأحلام والطموحات، من خلال الهجرة إلى الضفة الأخرى.

كما أنه يحمل إحساس الهدوء والسكون وفي الرواية يحمل دلالات مغايرة الإحساس بالخوف والهلع يقول «البحر ليلا مخيف»، [1] تسليط بحرا إيجه على المهاجرين جعلهم يشعرون بالخوف.

دلالة على المغامرة والتحدي ومواجهة الصعاب من أجل تحقيق الرغبات والآمال.

- **المخيم:**

«مكان مفتوح يقصده أفراد بسبب ظروف قسرية، وفي غالب الأحيان يقصده المهاجرون، يحتوي على العديد من الجنسيات والأديان المختلفة ولكن جحيمهم واحد، وللمعاناة لغة واحدة» [2]، لا توجد فيها أدنى شروط الصحة، لأن هؤلاء الناس في معاناة بسبب المعاملة والصراعات التي تكون بينهم.

- **الشوارع والطرقات:**

الشارع جزء من النص السردي «وهي مكان إنتقال ومرور النموذجية، فهي التي تشهد حركة الشخصيات»[3]، إذ اعتبر العنصر الذي تتحرك فيه الشخصيات بكل طلاقة، يستقبل كل فئات المجتمع فيمنحهم الحرية في التنقل والإطلاع على الثقافات الأخرى، الشارع في الرواية يحمل دلالات معينة، إلا أن الكاتب لم يذكره في الرواية ولم يجعل أحداث الرواية تدور فيه بل تجاوزه يقول: « طلب منا أن نخرج ونرافقه في الشارع المؤدي إلى شارع آخر». [4]

«كنت أتجول في شوارع باتراس» [5]

---

[1] الرواية: ص 22.

[2] المصدر نفسه: ص 122.

[3] حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص79.

[4] المصدر نفسه: ص 22.

[5] المصدر نفسه: ص 203.

كما تمثل مصدرا للخوف من مداهمات الشرطة الفجائية والتي تنتهي غالبا بالسجن أو بالترحيل إلى موطنهم.

الأماكن المغلقة:

أماكن تكون مساحتها محددة تمثل عادة «الحيز الذي يحوي حدودا مكانية تعزله عن العالم الخارجي، ويكون محيطه أضيق بكثير من المكان العام» [1]، أي أنه فضاء يحمل خصوصيات داخل كل فرد تكون حدوده محدودة، يكشف عادة عن الأمان والألفة، ولكنه مرتبط أشد الإرتباط بالحالة النفسية للشخصيات الروائية، وبالتالي حضور هذه الأمكنة مرتبط بطبيعة البطل وطبيعة الأحداث في الرواية، مثلما هو الحال في رواية أناشيد الملح التي تنوعت فيها الأمكنة المغلقة وتراوحت بين البيت والمطعم والسجن.وهي التي تعبر عن حاله من القلق والاضطراب والخيبة.

- **البيت:**

يمثل فضاء أساسيا في حياة الإنسان، يأوي إليه الفرد للاستقرار والطمأنينة، ويعرف «على أنه كيان هندسي مرئي وملموس بشكل واقعي ومصنوع من قوالب صلبة تكون هيكل متماسك، كما تسيطر علية الخيوط المستقيمة أما الخطوط العمودية فتمنحه النظام والتوازن»[2] يتكون من أفراد (أم، أب، أولاد)، كما يمثل مكان للراحلة التي ينشدها كل فرد بعد عناء وتعب اليوم إذن هو «المكان الأليف»[3] الذي ولد فيه الإنسان وترعرع فيه، كما بنى فيه أحلام يقضته وتشكل فيه خياله، حتى خرج إلى عالم الواقع، عادة هذا ما يمثله البيت، لكن في رواية أناشيد الملح لم يجري العربي أحداث روايته داخل منزل يحويه وعائلته، المنزل هنا يحتوي على العديد من الأفراد من مختلف الجنسيات، يمتثلون للراحة بعد عناء البحث عن السماسرة يقول: «وصلنا إلى بيت عتيق، يتكون من مطبخ وحمام وغرفتين»، [4] ويمثل ركام من الجدران والأثاث إذ لا يحوي داخلة أسرة تحمل دفئ وحب لبعضها، فهو مجرد وسيلة لقضاء وقت الراحة حتى يحين السفر.

---

[1] فرحان بدري: بنية المكان في قصص (حراس المعبد)، لحسين عبيد عيسى، ص 998.

[2] غادة الإمام: غاستون باشلار –جماليات الصورة–، دار التنوير، ط1، 2010، ص 290.

[3] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

[4] الرواية: ص 80.

- **المقهى والمطعم:**

يمثل المقهى حلقة وصل بين الفرد والمجتمع في غالب الأحيان تكون للاستمتاع بشرب القهوة، وفضاء لقضاء وقت الفراغ مع كسر الرتابة اليومية، «ومسرحا للعديد من الممارسات المنحرفة»[1] ، وهذا ما لاحظناه في الرواية، إذ أن العربي رمضاني معظم فراغه يقضيه في التجول وإقباله على المقاهي، يقول: الحي الذي كنا نقيم فيه بمحلاته ومقاهيه الصاخبة، [2] «من السهل جدا أن يخوض معك صاحب المحل مباشرة في الحديث عن رغبتك في الهجرة» [3]، من خلال هذا نرى أن هذه المحلات طريق للوصول إلى المعمرين.

- **المطعم:**

مكان يحتوي على فئات مختلفة من الناس مخصص للأكل يقول: «اتجهنا إلى المطعم» [4]، في الرواية لم يقم الكاتب بذكر أحداث في المطعم إلا أنه كان له أثر جمالي في الرواية.

- **الباخرة:**

تستعمل كوسيلة لنقل المسافرين والبضائع من مكان إلى مكان آخر، في الرواية الباخرة مسلك لنجاة العربي ورفاقه.

جماليات هذا المكان تظهر من خلال الوصف المفعم بالحيوية وروح المحاولة للوصول إلى الهدف، إذن هي أداة للعبور فقط.

---

[1] حسين بحراوي: بنية المكان الروائي، ص91.

[2] المصدر نفسه: ص 30.

[3] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه: ص 14.

- **الفندق:**

مكان مغلق يحتوي على أفراد من مختلف الجنسيات، مكان للراحة، حياة الفندق عابرة وبديلة، لأنه كان ينتقل من فندق لآخر، يقول: «وصلنا إلى الفندق» [1]،«فندق ضخم بأربع نجوم». [2]

يمثل الفندق مكان للراحة بعد البحث والتنقيب عن مسالك للخروج من تركيا واليونان.

- **مديرية الدرك:**

مكان مغلق يحتوي على مجموعة من الأشخاص يخضعون لسلطة معينة تقوم على خدمة الناس، ونشر الأمن والطمأنينة يقول: «بعد أن فرغ الدركي من تدوين أسمائنا وصلت حافلتان، ركبنا فيهما باتجاه مديرية الدرك»،[3] يعد هذا المكان مكان ضغط على الشخصية، حيث تمارس الشرطة عليها عنفها، وصف الشرطي الذي اقتادهم إلى الأمن «كان قصير القامة مقارنة بي»، [4]مديرية الدرك أو مقر الشرطة العتبة التي تلج الشخصيات من خلالها إلى السجن.

- **السجن:**

إذا كانت حرية الإنسان هي جوهر وجوده والقيمة الإنسانية لحياته، فإن السجن هو استيلاب لهذه الحرية، وبالتالي استلاب الوجود الإنساني، السجن مكان مغلق نفسيا وحركيا يحمل دلالة الألم والمرارة والضغط النفسي، «وهو نقطة إنتقال من الخارج إلى الداخل»[5] يقول: «شعرت أني مكبل في الزنزانة، أجنحتي تم قصها». [6]

---

[1] الرواية: ص 19.

[2] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه: ص 250.

[4] المصدر نفسه: ص 63.

[5] حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص55.

[6] المصدر السابق: ص 233.

السجن في الرواية يمثل ضعف وعدم القدرة على تحقيق ما كان يطمح له، دلالة على أن هذه الأحداث عاشت حالة نفسية كما عاشت صراعا مختلف ومتغير بين اليأس والأمل، هذا الشيء خلق دافعا للرحيل وهذا ما ولد الأمل، أما هذا الأخير فنتج عنه الصراع والتحدي، ثم الفشل والخيبة وبالتالي العودة إلى حالة اليأس.

ومن خلال هذا يمكننا القول أن الروائيين والكتاب اهتموا بدراسة المكان لكونه المحرك الرئيسي للأحداث الحاصلة في الرواية أو القصة، وقد اختلفت هذه الأماكن من رواية إلى أخرى في الشكل والحجم والمساحة، منها ما هو مغلق ومنها ما هو مفتوح، وهذه الأمكنة هي أشكال من الواقع، إلا أن الروائي جعلها عنصرا مهما في المتن الحكائي ولا يمكننا أن نتصور رواية بدون مكان.

المبحث الرابع: ثقافة التجاوز في الشخصية الروائية من الواقع إلى المتخيل

- **مفهوم الشخصية:**

نال مصطلح الشخصية اهتماما كبيرا لدى النقاد والمفكرين، وحتى القراء باعتبارها عنصرا أساسيا في العملية السردية، وقد اختلف حضور الشخصية من رواية إلى أخرى ومن عمل إلى آخر.

الشخصية كلمة لاتينية ومعناها «القناع أو الوجه المستعار الذي يضعه الممثل على وجهه من أجل التنكر وعدم معرفته من قبل الآخرين» [1]، هذا الوجه يعطي انطباعا خاصا للشخصية الروائية، فيغير من ملامحها الحقيقية وإخفاء حقيقتها وحياتها الواقعية، تحمل هذه الشخصيات دلالات تختلف من عمل إلى آخر ومن كاتب إلى آخر.

وعرفت كذلك على أنها: «أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة أو المسرحية». [2] قد تكون شخصيات واقعية يأتي بها السارد من عالمه الواقعي، وقد تكون من نسج خياله، فيعطيها روحا ودلالات تكون في الغالب الأحيان تحمل رسالة أو هدف ما، كما أنها سبب في وجود الأحداث الروائية التي تؤثر في المكان الروائي، فالمكان لا يظهر إلا من خلال وجهه نظرا لشخصية «يعيش فيه أو تخترقه فتجعل من العمل السردي عملا متجانسا ومتكاملا»، [3]وبذلك قسمت الشخصيات إلى محورية ومساعدة:

1- الشخصية المحورية:

هي الشخصية الرئيسية في المتن الحكائي والمحور الذي تدور حوله خيوط الحبكة، باعتبارها الركيزة الأساسية التي تقوم بدور يميزها عن الشخصيات الأخرى، وقد مثلت هذه الشخصية صورة من صور الشخصية الجزائرية، وعينة من النخبة المثقفة –الطبقة الجامعية– كان حضور البطل قويا من خلال أحداث الرواية ولعل

---

[1] علي عبد الرحمان فتاح: تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، مجلة كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، كلية اللغات، قسم اللغة العربية، العدد 102، ص 46.

[2] وهبة مجدي، والمهندس كامل: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1984، ص 208.

[3] ينظر: حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص 32.

الهدف من هذا التمثيل هو إظهار السلوك والفكر الذي يقوم عليه كل مثقف يعيش ويلات الفشل والخيبة في بلده الراوي لم يذكر اسمه في الرواية، والذي كان بطل الرواية من أول فصولها إلى آخرها، فظهر بضمير المتكلم "أنا" العربي رمضاني شاب جزائري مثقف أكمل دراسته الجامعية، إلا أن شبح البطالة قضى على أحلامه ورغباته، فقرر الهجرة "الحرقة" لتحقيق تلك الأحلام يقول: «مرت سنوات على تخرجي من الجامعة» [1]،«ولم أجد عملا قررت مغادرة الوطن»، [2]واجه مشاكل وصعوبات في الغربة جعلته يعود إلى الوطن الذي فقد الأمل فيه في يوم من الأيام.

لكل شخصية أبعاد وخلفيات عاشتها ومرت عليها، وهذا ما تجلى لنا من خلال رواية أناشيد الملح، فالمواقف والأحداث التي مر بها جعلته يفقد الأمل في العيش وتحقيق كل طموحاته، فبالرغم من وصوله إلى اليونان إلا أن ذلك لم يغير شيئا ولم يستطع أن يحقق ما ذهب لأجله.

- **البعد الجسدي:**

لم يقدم الراوي أي وصف لنفسه ولا حتى صفات جسدية، بل قدم طموحاته وأحلامه التي يسعى جاهدا لتحقيقها،وهذا راجع لكون الروائي لا يهتم بالشكل الخارجي وإنما بالمحمول النفسي، وهذا الجو يحمله كل الشباب.

- **البعد النفسي:**

يهتم البعد النفسي بالانطباعات والانفعالات وما يصدر عن كل شخصية من دوافع وعواطف، من خلال الرواية اجتمعت داخل البطل صفات كثيرة، كالطموح والأمل في الوصول إلى الضفة الأخرى، والخروج من الجزائر التي لم يجد فيها حقه في العيش من المصير الذي ينتظرهم في البحر، عندما يسلط أمواجه عليهم، فيصبحون فريسة سهلة له.

---

[1] الرواية: ص 19.

[2] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

كذلك الخوف من الشرطة ودخولهم السجن، هذا ما كان يخشاه العربي رمضاني ورفاقه، لأن الأمن هناك متشدد مع المهاجرين، سيقضون وقت طويل فيه، أو يرحلون إلى بلدانهم.

- **البعد الاجتماعي:**

يتجلى البعد الاجتماعي من خلال الرواية في تصوير الشخصيات ومركزها الاجتماعي ومستواها الثقافي، بطل الرواية أكمل دراسته ومتحصل على شهادة جامعية إلا أنه لم يجد عملا، فالبطالة التي يعاني منها الشباب الجزائريين دفعهم إلى الحرقة، والموت في البحر على البقاء في الجزائر.

تحدث عن ويلات العشرية السوداء وما عاشه الشعب الجزائري من خوف دائم، يقول «كبرنا وسط برك الدم وصيحات الأطفال والثكالى، نشتهي ومضة فرح» [1]، ويقول كذلك «نحن أبناء تلك العشرية القبيحة الملوثة بالدخان الأسود واللحى الكريهة والجثث المنتفخة». [2] هذه المرحلة من أهم المراحل التي أثرت في نفسية كل جزائري، كما تحدث عن الفساد والخيانات التي تعيشها الجزائر، رغم الأموال الطائلة التي تمتلكها إلا أنها تعد من أفقر الدول العربية يقول: «كبرت، ووقعت في الفخ، لم أجد الوطن الذي عرفته وتعرفت عليه في المدرسة». [3]

لا أمان فيه ولا الأماني بل وجد نفسه في سجن مسيج بالأكاذيب، يعيش في وطنه مرغما، متطلعا إلى ساعة الحرية التي يكون فيها بعيدا عن الهموم والقسوة.

رغم تعلم البطل ويمثل شخصية مثقفة إلا أنه يدخن يقول: «اقتنيت عليه سجائر» [4]، «خرجنا لندخن»[5]، لم يتوقف عن التدخين طيلة مشواره.

---

[1] الرواية :ص 203.

[2] المصدر نفسه: ص 11.

[3] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه: ص 18.

[5] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

تناوله للمخدرات "ليريكا" كما يسميها حتى تعينه على تجاوز الخوف، يقول: «شعرت بحماس واندفاع وعطش». [1] هناك اهتمام كبير بالبطل والذي كان نموذجا مناسبا في الشخصية الجزائرية.

2. الشخصية المساعدة:

شخصية تظهر بين الفئة والأخرى وتكون في غالب الأحيان مساعدة للشخصية المحورية (البطل)، ومن بين هذه الشخصيات:

- **الأم:**

جاءت الأم كشخصية منكسرة في الرواية ممتلئة بالحزن والألم لرحيله، فخبر هجرته لم يكن مفرحا لدى والديه، يقول: «انفجرت باكية عندما ودعتها، وبدأت تجهش بالبكاء» [2]، هذا الأمر كسر قلبه، ولكن لا يستطيع البقاء لأن حلمه ومستقبله أقوى من كل شيء،حاول أن يصف عواطف كل أم تحزن لفراق ولدها،وتمثيل الحقيقة في كل جزيئاتها وتفاصيلها.

- **رفيقي الراوي:**

ركز السارد على هاتين الشخصيتين إلا أنه لم يذكر خلفياتهما الثقافية ولا حتى أسمائهما وملامحهما ما عدى أحلامهما والهدف الذي يحاولون الوصول إليه يقول: «وصل رفقاء رحلتي، زملاء دراسة، وأصدقاء جمعنا الحلم في الهروب، ونحن خريجوا جامعات، لم نوفق في الحصول على وظيفة» [3]، ويقول: «كنت أدخن أنا واثنان من رفقائي». [4]

---

[1] الرواية: ص 149.

[2] المصدر نفسه: ص 13.

[3] المصدر نفسه: ص 14.

[4] المصدر نفسه: ص 19.

من بين الشخصيات التي قدم وصف لهيئتها وملامحها عبدو من الغابون: مهرب يعيش في إسطنبول يقول: «قصير القامة، بشرته سوداء فاتحة، وشعر بجدائل، يقول: أن طيبته الإفريقية فاضحة، يتحدث بلغة فرنسية سليمة» [1]، هرب من النظام الاستبدادي الذي تطبقه دولته الغابون ليعمل في التهريب.

- **اللورد:**

تمثل هذه الشخصية« شاب كردي حاذق من مدينة عفرين يقول أنه طيب ومرح» [2]، مهرب آخر: «أسمر بشارب قصير وعينين سوداوين حادتين». [3]

شباب لم يجدوا عملا إلا التهريب من أجل كسب قوت يومهم يقول أن معظم المهربين: « مدمنو خمر، وحبوب مهلوسة يحملون معهم أسلحة...قلوبهم معدنية». [4]

- **أبو علي:**

شخصية ثانوية خمسيني من مدينة القامشلي شمال شرق سورية، يقول: «شعره ناعم، مستخدم مدني في المخابرات السورية». [5]

- **سيد علي:**

شخصية فاعلة في الرواية، مع أنه لم يذكر خلفاتها، أعطت للنص الروائي روحا رغم قلة حضورها، تقاسم معه العربي رمضاني مرارة الغربة، وهمومه ومشقة الهروب.

إلا أنه اكتشف وجه آخر للمهربين الذين تعامل معهم يقول يتمتعون «بطيبة وإخلاص في العمل وتعاون مع المهاجرين ومعاملتهم بلطف». [7]

---

[1] الرواية: ص 18.

[2] المصدر نفسه: ص 44.

[3] المصدر نفسه: ص 50.

[4] المصدر نفسه: ص 35.

[5] المصدر نفسه: ص 92.

- **فريد:**

شاب جزائري تعرف عليه في الباخرة، أفسد خطته في الوصول إلى إيطاليا، بسبب تسرعه ومحاولته نزوله جعل الأمن يكشف أمرهم، ودخولهما السجن وكان بينهما نوع من اللوم والعتاب.

- **عائلة كونغولية:**

استعملها الكاتب للتغيير والدلالة على التداخل العرقي والإنتماء بين الحراقة.

- **الحاج بانغو:**

جاء من مدينة كبشاسا يقول: «أنه نحيف، طويل معتدل، لا يتجاوز الخمسين سنة»، [1]معه زوجته البدينة وابنتهما، هربوا من الحروب الأهلية في بلده، وصف ملامحهم وانفعالاتهم عند ركوبهم المركب، يقول كانوا في حالة صمت وذهول لأن الأمواج تسلطت عليهم وقد تكون نهايتهم في ذلك القارب.

- **الدركي:**

رسم ملامحه الجسدية يقول: «قصير القامة ذو لحية خفيفة، حاصرها الشيب، يرتدي نظارات قاسية» [2]، قام بتفتيشهم كأنه يفتش كائنات موجودة فمعاملتهم للمهاجرين غير أخلاقية وفيها نوعا من العنصرية في مختلف الدول الأوروبية، له دور الشخصية الانتهازية، ابتزّهم من أجل إطلاق صراحهم، يقول: «كلما ابتزنا أكثر نظير الإفراج عنا وجد إصرارا على الرفض». [3] هذا ما مثله هذا الدركي الانتهازي في الرواية .

---

[1] الرواية: ص 34.

[2] المصدر نفسه: ص 63.

[3] المصدر نفسه: ص 64.

3. الشخصية العابرة:

هي الشخصية التي لم تحظ باهتمام الروائيين، لأنها ترد بصفة عابرة، والروائي لا يهتم بتفاصيلها، ولا يذكر أبعادها الجسمية، النفسية ولا حتى الاجتماعية، وفي بعض الأحيان لا يمنحها إسما ولا لقبا، ولكن هذا لا يعني أنها لا تحمل دلالات وأبعاد في الرواية، بل وظفها الروائي لكونها مكملة للشخصيات الرئيسية والمساعدة، فهي تسد التغيرات الحاصلة في الأحداث الروائية، وفي رواية أناشيد الملح، وضع العربي رمضاني شخصيات كثيرة دون تقديم أبعاد حولها ومن بينها:

- **الدركي:**

لم يذكر خلفياته يقول: «صاحب العينين الزرقاوين الحادتين» [1]، يتمتع بلهجة عنيفة، ذو أخلاق سيئة يتعدون على المهاجرين وهذا ما أزعج الراوي يقول: «فكرت في لكمه وطرحه أرضا». [2]

يطارد بعيناه النسوة (المهاجرات): «كاد أن يبتلعهنّ بنظراته الجائعة». [3]

- **الشرطي:**

ذكر ملامحه الفيزيولوجية (الجسدية) يقول «قصير القامة، نحيل ذو وجه أبيض وعيناه ترسلان إشارات عدوانية». [4]

- **حازم المصري:**

«أسمر بعينين بنيتين، أسفلهما ترهلات، طويل، تقريبا في عقده الرابع» [5]

---

[1] الرواية: ص 25.

[2] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه: ص 27.

[4] المصدر نفسه: ص 247.

[5] المصدر نفسه: ص81.

ذكرهم بضرورة التمسك بالله والإيمان بقدرته في رحلته صادف العديد من الشباب الجزائريين، تقاسم معهم طعم الألم والخيبة والحزن، يرى أن الجزائريين يختلفون عن بقية المهاجرين في نظرتهم للحرقة وفي تعاملهم مع الآخرين واندفاعهم الشديد، يقول: «أن وجوههم تحمل نوعا من الطيبة والعدوانية». [1]

هم شباب من الطبقة الوسطى تم سحقها وتهميشها بسبب سياسة اقتصادية (فاسدة) لا يملكون سوى أحلامهم من أجل التحرر من الوطن.

- **عمار الطلياني:**

من بين الحراقة الذين لم يعثروا على ظروف مناسبة، عمره 47 سنة، من باب الزوار، يقول ذو ملامح «بريئة وطيبة، يرتدي ثياب رياضية في غالب الوقت». [2] دخل السجن مع العربي رمضاني وعاشا نفس المعاناة التي يتعرض لها المهاجرون.

- **إلياس:**

شاب من تيزي وزو، يقول أنه: « مدخن شره» [3]، بسبب قسوة العيش ومرارة الغربة لم يجد ما يؤنسه سوى علب السجائر «وجهه أبيض، عينان عسليتان، طويل معتدل». [4]

قدم له بعض من حبات المخدرات "ليريكا" تعينه على تجاوز الخوف.

- **نبيل:**

شاب من ولاية الشلف، دخل السجن عدة مرات بسبب رفاقه، أخبر العربي بأن الجزائريين «يتعاركون في السجون ويستعملون الحديد وشفرات الحلاقة». [5]

---

[1] الرواية: ص 31.

[2] المصدر نفسه: ص 125.

[3] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[5] المصدر نفسه: ص 275.

- **الشرطية والشرطي**: اللذان قابلهما في المستشفى ماريوس: شرطي مناوب، يقول: "بدا طيبا" من جزيرة كريت، طلب منه سيجارة وأحضرها له، يقول: "سعدت بها كثيرا" عامله بكل إنسانية.
- **الطبيب**: يقول: "صاحب اللحية السوداء"، والطبيبة كانا ودودان مع العربي، عاملاه معاملة حسنة.

الممرضات: بلا استثناء متفانيات في عملهن، لم يبخلن على شيء، جمعتني بهم علاقة إنسانية جميلة، يقول: "حدثني بلطف وبعذوبة".

- **البروفيسور المصري**: التقاه في المستشفى ووعده بالمغادرة.

تمثل هذه الشخصيات شباب هربوا من وطنهم الذي وقف في وجه طموحاتهم وأحلامهم.

صنف المثقف من أهم فئات المجتمع لما يحمله من قوة تأثير في تغير الواقع وإصلاحه ولكن في روايتنا لاحظا أن المثقف في الجزائر فضل الحرقة والمخاطرة بحياته على البقاء في الجزائر، لأنه يرى الضفة الأخرى (الدول الأوروبية) المكان الذي يمكنه أن يحقق أحلامه فيه، هذا ما دفع العربي رمضاني ورفاقه إلى الهجرة عبر قوارب الموت.

وبذلك سجلت النخبة المثقفة وجودا في النص السردي وتجلت قيمتها من خلال وصف أحوالهم ورصد مصيرهم الذي جمعهم والمتمثل في التهميش والهجرة، وهذا ما صوره العربي رمضاني في الرواية.

من بين الشخصيات المثقفة نذكر « يحيى وهو شاب جزائري جامعي لم يجد أملا في الجزائر» [1]، واختار الهروب إلى أوروبا من أجل تحقيق أحلامه وطموحاته.

- زينو العاصمي: من بوزريعة مثقف «يتقن خمس لغات ولديه نزعة علمانية». [2]

---

[1] الرواية: ص 175.

[2] المصدر نفسه: ص 185.

ونجد رفقاء العربي ذكر أنهما زملاؤه في الدراسة، من الجنسيات الأخرى: محمد أمين كردي «مثقف يساري» وعبد الرحمان: «طالب طب هرب إلى تركيا من حلب» [1]، بسبب الحرب.

توجد في الرواية شخصيات كثيرة ساهمت في إنشاء هذا النص السردي، إلا أنها شخصيات سطحية، لم يرتكز الراوي عليها، كان يقدم لمحة صغيرة ويتجاوزها دون التعمق في تفاصيلها وهويتها.

ومن خلال هذا يمكننا القول أن العربي رمضاني عرض المواقف التي تعرض لها، وذلك بسبب الإهمال الذي أولته إياه السلطة، فكان قرار الهروب من الوطن إلى المنفى محاولة للبحث عن الذات.

شخصيات الرواية جاءت متغيرة غير ثابتة على حال واحد، بطل روايتنا تجاوز الأعراف والتقاليد التي تربى عليها في بلده، يمكننا القول أنه تأثر بثقافة الآخر ومحاولة تقليد الذات الأخرى، شربه الخمر، تناوله المخدرات، التدخين من الآفات الاجتماعية التي كان لابد له كمثقف أن يتجاوزها.

الشخصيات الأخرى جاءت بعضها إشكالية ثورية تبحث عن الخلاص وتحقيق الذات بطرق غير أخلاقية كالسرقة وأعمال مشبوهة.

[1] الرواية: ص 88.

المبحث الخامس: الحوارية الثقافية بين الشخصيات

عرّفت الحوارية على أنها مصطلح «له مع الحوار جذر مشترك وهو ما لم يغرب عن ذهن مبدعه ميخائيل باختين حين وضعه للدلالة على العناصر المتباينة داخل الأثر الروائي، فوجود هذه العناصر المشتركة وتفاعل بعضها مع بعض حسب نظام بعينه من شأنهما إنشاء كيان فنّي واحد هو الرواية»، [1] فالحوارية تشترك في مفهومها مع الحوار وتفاعل العناصر الحكائية أو الشخصيات مع بعضهما البعض بإمكانهما تشكيل كيان فني واحد هو الرواية.

ومن هنا فقد شكل الحوار جزءا فنيا هاما من عناصر العمل الأدبي ويعتبر "ميخائل باختين" من أوائل الباحثين الذين انصب اهتمامهم حول موضوع الحوار، حيث عرّفه بأنه: «ظاهرة عامة تقريبا ولا تنفصل عن النطق البشري وشتى تجارب الاتصال بين الناس وأشكاله، وعن كل ما يملك معنى ودلالة وحيث يبدأ الوعي يبدأ الحوار». [2]

وقد نال الحظ الأكبر داخل الأعمال الروائية إذ يعمل على توضيح طبيعة الشخصية وحركتها داخل العمل الروائي، وهذا من خلال اللغة التي تعكس بيئة الشخصية، ومن هنا فقد تعددت شخصيات الرواية وتابينت، فكانت من جنسيات مختلفة، لكن عانت الواقع نفسه الحالة الاجتماعية نفسها، وكان هدفها واحدا هو بلوغ الضفة الأخرى بحثا عن الأمل والاستقرار والفرح وتغيير الحالة التي آلت إليها أوطانهم.

وقد عبّرت المقاطع الحوارية في الرواية في الحالة الشعورية التي يعيشها المهاجرين ونستدل بهذا في الحوار الذي دار بين سائق التاكسي والمهاجرين الجزائريين:

- أنتم جزائريون؟
- نعم
- جيد، تشتغلون هنا؟
- لا، مهاجرون وصلنا أمس

[1] محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار الفرابي، ط1، 2010، ص 261.

[2] عمر عروي: التشكيل اللساني في حوارية الرواية عند الطاهر وطار الشمعة والذهاليز أنموذجا، جامعة تيارت، الجزائر، ص 3.

- الظروف هنا قاسية صح؟
- تقريبا لا تؤثر علينا كثيرا
- جيد حظ موفق إذن
- شكرا لك. [1]

ويدل هذا على تعوّد المهاجرين العيش في ظروف قاسية وصعبة إذ لم يعد يؤثر في نفوسهم أي شيء كان.

أما الحوار الذي دار بين الممرضة والعربي رمضاني في المستشفى فيرسم لنا صورة على اتحاد العرب بين بعضهم في بلد الآخر.

- أنت جزائري؟
- نعم
- أنا أيضا عربية
- جميل من أين؟
- أبي فلسطيني، وأمي روسية
- رائع من أول يوم شعرت أن جمالك فيه مسحة عربية، تتحدثين العربية؟
- لا
- أنت يونانية؟ أم عربية؟ أم روسية؟

ابتسمت:

- أنا يونانية في النهاية. [2]

ومن هنا نلاحظ تكريس الروائي لحالة التعايش الحاصل في العقلية العربية والجزائرية، وهذا في قول الممرضة.

- أنا أيضا عربية.

وفي قول الممرضة:

---

[1] الرواية: ص 168.

[2] المصدر نفسه: ص 25.

- أبي فلسطيني، وأمي روسية.

نلاحظ أن هناك انتفاح عل ى الآخر أي انفتاح العرب على الغرب.

وفي الحوار الذي دار بين البروفيسور المصري والعربي رمضاني:

- قلتلك بكري تطلع ولالا
- كده يا باشا
- ربنا معاك
- الله يخليك. [1]

وهنا نلاحظ أن هناك هذا الحوار يوحي بالإنتماء لنفس البيئة العربية.

أما الحوار الذي دار بين رجل يوناني والمهاجرين:

- إن كنتم مسلمين فإن عيدكم اليوم أو غدا؟
- نعم
- أعلم أنكم مهاجرون، تقبّلوا هذه الهدية منّي.
- شكرا على سلوكك الإنساني النبيل. [2]

وقد أدهش هذا السلوك النبيل بقية المهاجرين لأنه جسد النظرة الإيجابية للآخر أو موقفه من الأنا.

من خلال ما سبق نستنتج أن هذه المقاطع الحوارية، أوحت لنا بعدة دلالات منها:

- مدى تعايش العقلية العربية والجزائرية.
- اتحاد العرب فيما بينهم، ما يوحي لنا بالوحدة العربية.
- النظرة الإيجابية للآخر.

---

[1] الرواية: ص313.

[2] المصدر نفسه: ص 216.

المبحث السادس: صورة المثقف الإنتمائي "الأنا"

امتازت الرواية العربية منذ ظهورها بتجسيد ثنائية "الأنا" و"الآخر" هي موضوع قديم قدم الوجود البشري والجدل قائم بينهما منذ الأزل، عبر مجموعة من الرؤى والصور المتقابلة إيجابية كانت أو سلبية تترجم الشرق والغرب، الذكورة والأنوثة وثنائية التقدم والتخلف، وبدأ هذا انطلاقا من شعور الأنا بالضياع وتبدأ البحث عن ذاتها المفقودة أمام الآخر.

يعتبر مصطلح "الأنا" من المصطلحات التي يتعذر تحديد مفهوم ضابط جامع لها، فهي من الضمائر أي ضمير المتكلم.

أما في الاصطلاح فقد تعددت دلالاتها «هي الذات subject، وما تحمله من مظاهر وخصائص ثقافية أو نفسية أو إيديولوجية وما تشتمل عليه من أفكار وآمال وطموحات وصراعات وتوترات...». [1]

ويعني هذا أن الأنا هي مجموع الخصائص والسمات التي تتميز الذات سواء سمات داخلية"كالوعي والتفكير" أو خارجية "كالشكل والمظهر، وطريقة الأكل والملبس".

ويعتبر مؤسس التحليل النفسي "سيغموند فرويد" أول من تصدّر البحث عن معنى الأنا في علم النفس «عضو التوازن للنفس، ومركز الشعور عند الإنسان». [2]

فالأنا يعبّر عن الشعور الذي يحسه الشخص.

ومن خلال رواية "أناشيد الملح" نرى أن "الأنا" في النص جماعية، فالأنا لم تتحدث عن ذاتها فقط وإنما جسّدت تجارب البقية أيضا.

---

[1] مارية حاج علي: الهوية وسرد الآخر في روايات غسان كنفاني، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2016-2017، ص 25.

[2] المرجع نفسه، ص 27.

فمنذ بداية الرواية نلاحظ "الأنا" متذمرة من الواقع الذي تعيشه وتبدأ رحلتها في البحث عن الذات، وهذا من خلال أحد المقاطع لحظة انطلاق الرحلة، إذن مثل هذا حالة من حالات التدمر والرفض.

وداعا أمي

وداعا أيها الشهداء النبلاء

وداعا أيها العدم المنتشر في ربوع هذه الجغرافيا المترامية

وداعا أيها اليأس

مرحبا بالحلم

مرحبا بك أيها الفرح. [1]

فالأنا هنا تعيش في حالة من الانعدام والخيبة والتدمّر من كل ما يحيط بها وتبحث عن الاستقرار والأمل في موطن الآخر.

لن تدرك "الأنا" ذاتها إلا بحضور "الآخر" إذ أبرزت العلاقة بينهما عدة رؤى منها: الرؤية الحضارية، الرؤية العدائية، الرؤية الإنبهارية.

ونعني بهذه الأخيرة النظرة الأولى وردة الفعل التي تصدر من "الأنا" خلال رؤية منجزات "الآخر" وهي النظرة القائمة على الاندهاش، والافتتان بتقدمه وازدهاره.

[1] الرواية: ص 15.

ونجد هذا في قوله: «جعلتني إسطنبول، أيضا بسحرها وتنوع عمرانها، وبجحافل سياحها ومباهجها، أكتشف وهم وكذبة الوطن الذي لا يزال إعلامه الخشبي يروّج له بوقاحة الدّجالين...ما أصغرك يا وطني، وما أكبر خيبتي فيك». [1]

نلاحظ هنا سخرية "الأنا" من الوطن والنظرة إليه نظرة احتقار وسخرية وفي مقطع آخر نجده يقول: «كانت طريقا طويلة، لكنني لم أشعر بها وأنا أرى عالما جديدا، لم أتعوّد عليه في الجزائر المختطفة المتجهة إلى الخلف بالسرعة نفسها التي يتجه فيها غيره إلى آفاق أرقى وأجمل». [2]

هنا تواصل "الأنا" مقارنة ذاتها بالآخر المتقدّم وإقباله على لغته مما يعني هذا أنه منفتح على الآخر ويظهر هذا في محاولة لتعلم اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية واليونانية في قوله: «كان الدّرس عبارة عن عموميات في الإنجليزية خاصة بالمبتدئين، طريقة تدريس مستر روبرث جميلة ومحببة ومتطورة جدا، تساعد على الفهم... إذ تعرّفت على أسلوب جديد في التدريس، لم يسبق وأن حدث معي في مراحل دراستي كلها، طرائق متنوعة في الإقناع». [3]

فهنا نرى أن "الأنا" أقْبَل على لغة الآخر ويعني هذا أنه يريد الانفتاح على ا لآخر من أجل مسايرة العالم والتعايش معه.

وفي الأخير نخلص إلى أن "الأنا" في الرواية استطاع أن يعبّر عن طبيعة الجماعة وإحساسها وفكرها ونقل المأساة التي يواجهها الطامحون في الوصول إلى الضفة الأخرى من المتوسط، وحقهم في اللجوء والحماية وفضح الممارسات غير القانونية ضدهم.

---

[1] الرواية: ص 17.

[2] المصدر نفسه: ص 19.

[3] المصدر نفسه، ص 121.

المبحث السابع: صورة المثقف اللامنتمي "الآخر"

تعددت المفاهيم حول الآخر وتنوعت دلالتها ومنها من اعتبر الآخر «معلم من معالم الغيرية، ويميز الذات عن غيرها من الأجناس»، [1]أي أنه المختلف عن الذات، والذي يتميز عن غيره، دينيا عرقيا وفكريا، ويعتبر الآخر ضرورة يتحقق بها وجود الأنا من أجل إدراك الاختلاف.

وعرف الآخر على أنه «بنية لغوية رمزية لا شعورية تساعد الذات على تحقيق وجودها ضمن علاقة جدلية بني الذات ومقابل لها ما يطلق عليه الآخر». [2]

بمعنى أن الآخر يساعد الذات على إدراك ذاتها، وهذا الإدراك لا يمكن أن يتحقق إلا بوجود الآخر الذي يميز المختلف عنه.

كما عرفه مراد وهبه بأنه: «أحد تصورات الفكر الأساسية ويراد بها ما سواء الشيء، مما هو مختلف أو متميز».[3]

بما أن وجود الآخر ضرورة حتمية لمعرفة ذواتنا فإن الفكر الإنساني هو الذي لا يدرك هذا التغير، فيميز الذات عن الآخر، فالإدراك إذن كامنا في لا وعي الإنسان.

يقدم العربي رمضاني في روايته أناشيد الملح صورة تعكس الواقع الذي يعيشه الفرد لحظة اِغترابه ومحاولة التخلص من مرارة العيش في الوطن الذي لم يمنح شعبه أدنى متطلبات العيش، والوطن الذي يعاني من ويلات الحروب والدخول في صراع الذات مع الآخر، يقول: « وطن الزور والخديعة والخيبة» [4]، فرغم تخرجه من الجامعة

---

[1] حارش نسيمة: التمثيل الثقافي للآخر في كتابات الجاحظ، مجلة أفاق العلوم، جامعة الجلفة، العدد العاشر، جانفي 2018، ص 262.

[2] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

[3] مراد وهبه: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، مصر، القاهرة، د ط، 2007، ص 449-450.

[4] الرواية: ص 11.

لم يعثر على وظيفة تعيله وعائلته ولم يمنح له فرصة إثبات ذاته، ولم يجد حلا إلا السفر أو الهجرة،ومن هنا يمكن القول أن الكاتب إنتقل إلى الآخر لتعريته وكشف حقيقته وموقفه،فكان إما مشاركا وإما مخالفا ومعارضا.

يسافر العربي رمضاني إلى الدول الأوروبية عن طريق الحرقة (الهجرة الغير شرعية) من أجل تحقيق ذاته وطموحاته عن طريق مواجهة الآخر ولمس حضارته المادية وحتى الإنسانية.

بدأت رحلة من مطار أتاتورك في تركيا التي «تعتبر نقطة الانطلاق للوصول إلى أوروبا» [1]، يقول: «مطار أتاتورك ضخم جدا»، يختلف عن مطار الجزائر الذي اعتبره محطة حافلات في دولة فقيرة، خرجت لتوّها من حرب مدمرة، فيقول: «اكتشفت أنك صغيرة يا وطني، لا تملك حتى مطارا محترما» [2]، راح يقارن بين ما تملكه الجزائر وتركيا خيب ظنه وأمله لأن بلده بلد غني ويملك ثروات تجعله من أكبر الدول وأغناها.

وصف محطة الحافلات في تركيا وأثنى على عمالها يقول: «سائقين ومساعديهم يرتدون هنداما أنيقا» [3]، وتقيدهم الالتزام بالوقت في الإقلاع إلى وجهات أخرى على عكس ما عرفه في بلده ومحطاتها«الموبوءة بحافلاتها المهترئة وقذارة المكان والاحتيال وتلك الأشكال المنفرة المتهجمة» [4]، فالأجواء الغربية وأماكنها عالم منظم يحترم المواعيد من المهد إلى اللحد، يغتنم كل لحظة وكل فرصة، وخدماتها جيدة، تعطي نوعا من التفاعل لمعرفة أكثر والتعرف على مختلف معالمها على خلاف وطنه التي يشمئز من خدماتها، رغم إمكانياته الرهيبة.

جعل الروائي من الدول الأوروبية (تركيا، اليونان) عالمه الآخر، العالم الذي يراه شمعة تضيء سقف طموحاته وأحلامه وآماله التي ضاعت في بلده.

---

[1] الرواية: ص16.

[2] المصدر نفسه: ص 17.

[3] المصدر نفسه: ص 18.

[4] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

راح يحاور تركيا واليونان في كل نظرة، وإعجاب بها وبتصرفاتها وملامحها، يقول: « تغريك كثيرا اسطنبول» [1]، إذ شبهها بفتاة روسية فاتنة.

كذلك إعجابه بتنوع عمرانها ومدى فخامة بنياتها التي لا تشبه بنيات الجزائر، فحياته التي عاشها في الجزائر مجرد كذبة كبيرة.

كذلك إعجابه بساموس التي أثرت فيه يقول: « عشقت ساموس رغم أفقها المحدود، عشقت هوائها، نوارسها، هدوءها، طيبة سكانها ودلال شقراواتها الخجولات وتمنعهن» [2]، هذه الأرض الطيبة التي لا يستطيع مقاومتها من حط رحاله فيها شبهها «بغجرية رومانية خجولة». [3]

المتأمل في تشبيهات الراوي للوهلة يظن أنه يتحدث عن امرأة جميلة فاتنة، أخذت قلبه وعقله، يقول: «ساموس اللذيذة، الشبقة، المغرورة» [4]، هذا دليل على إعجابه وحبه لها رغم وضعه (الهروب من الشرطة) إلا أنه كان يعيش قصة حب مع ساموس.

من خلال هذه الملامح نقول أن الكاتب قدم وصفًا فيزيولوجيا للدول الأوروبية كأنك تقرأ ملامح فتاة جميلة، كما تطرق إلى التغير الحاصل فيها، اجتماعيا وسياسيا.

يصور العربي رمضاني الآخر الذي يفعل ما باستطاعته حتى يصل إلى غايته، من خلال تركيا التي تتاجر بمآسي المهاجرين لأن الاتحاد الأوروبي يدفع ألاف اليوروهات من أجل إنشاء مخيمات للمهاجرين إلا أنها لا توجد فيها أدنى شروط الصحة.

---

[1] الرواية: ص 17.

[2] المصدر نفسه: ص 121.

[3] المصدر نفسه: ص 125.

[4] المصدر نفسه: ص 119.

إذن الغرب المستنير الذي تهرب إليه شعوب المناطق التي تعاني من المشاكل السياسية والاجتماعية له يد في تلك المآسي ودعمها لأسوء الأنظمة المستبدة، يقول أن الأتراك «يساومون الاتحاد الأوروبي بورقة المهاجرين واللاجئين».

استعمل في الرواية شخصيات أدبية، تاريخية، لتصوّر الآخر الغربي يقول ساموس: «موطن عالم الرياضيات الشهير فيثاغورس ومسقط رأس الفلطي أرسطارفوس». [1]

كما يقول: «اليونان بلد...الفلسفة...روح أفلاطون ومثاليته ترافقك أينما حللت». [2]

لم يتناول شخصيات كثيرة في الرواية تمثل الآخر نذكر منها المحقق ستافروس: والذي مثل الآخر الطيب، جاءت شخصيته كمحقق شريف له مبادئ اتجاه الآخر، قام بالتحقيق معهم بكل احترام يقول: «تقدم مني وصافحني». [3]

يحمل هذا الشعب وعيا إنسانيا يتجاوز الفروقات القائمة بين البشر كلها، فالناس غير عنصريين هناك يقول: «يتعاطفون مع المهاجرين وينصتون لآمالهم وآلامهم». [4] هناك شخصيات أخرى لكن لم يكن له احتكاك معها ولم يذكر أي شيء عنها.

الطبيب والممرضات الذين أجرو له العملية شخصيات نبيلة، تمديد المساعدة لأين كان كانو طيبون معه، ويقول: «لم يبخلن عليّ بشيء...جمعتني بهن علاقة إنسانية جميلة»، [5] وقفوا إلى جانبه فلم يبخلوا عنه بإخلاصهم وتفانيهم في عملهم.

---

[1] الرواية: ص 13.

[2] المصدر نفسه: ص 116.

[3] المصدر نفسه: ص 109.

[4] المصدر نفسه: ص 119.

[5] المصدر نفسه: ص 307.

استعمل العربي رمضاني في الرواية لغة الآخر في بعض الأحيان، مثل مصطلحات يونانية وأخرى انجليزية للتواصل معهم، كما استعان باللغة السورية عندما ألقت الشرطة القبض عليه حتى لا يكتشف أمره.

ركز في الرواية على مظاهر الآخر التي يتمتع بها المدنيون والشرطة وحتى رجال الدين، فقد كانت معاملتهم لهم معاملة إنسانية، وهذا ما جعل الكاتب يثني على هذه المدينة الجميلة حسب تعبيره، إذن نظرة الآخر كانت تحمل نوعا من الإحسان، ونوعا من الرقي في الفكر والفعل. وهذا ما لم يجد في وطنه الأم، حرص في الرواية على تشويه صورة الوطن الذي تربى فيه، فجعل منه قبرا له، وأنه مجرد كذبة وقدس الدول الأوروبية والتي ظلت حلم كل من ذاقت به السبل.

العربي رمضاني فضل التحرر من جميع القيود والثورة على التقاليد والوطن الذي ولد فيه، قدم في الرواية صورة المثقف الذي فضل المعاناة والمغامرة بحياته في البحر من أجل الوصول إلى بلد الآخر الذي يراه ملجأ يحويه، فرسم صورة سيئة لوطنه ومقابل ذلك قدم صورة للآخر تحمل وصفا له خصوصيته في قلبه، إذ ركز في رسمه على الشكل الجميل.

خاتمـــة

خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع "**صورة المثقف في رواية أناشيد الملح**" للعربي رمضاني نستنتج ما يلي:

- المثقف هو الملتزم بقضايا المجتمع، ويسعى دائما للتغيير نحو الأفضل، فالمثقف ليس حامل الشهادة العلمية فقط، وإنما هو من تمرّس بالفكر والثقافة، وأثر في المجتمع، وذلك من خلال الدفاع عن القضايا الكبرى التي يواجهها المجتمع، فالمثقف إذا يجب أن يكون مخططا لسيرة مجتمعه بصورة دائمة كونه حامل شعلة الثقافة والنور ووهج المعرفة.
- هناك نوعين من المثقفين: مثقف إيجابي والذي يبحث عن جماليات الكون، ولا يهدأ حتى يرى الصواب محل الخطأ والفضيلة محل الرذيلة.
- أما المثقف السلبي: هو المثقف الذي يملك المعرفة والفكر ولا يوظفهما إذ يحتفظ بهما لنفسه ولا يسخرهما لخدمة المجتمع.
- حضرت شخصية المثقف في النص الروائي الجزائري بشكل مكثف، وظلّ حضورها ملازما لحضور الرواية، واختلف حضورها من رواية إلى أخرى، وهذا نظرا لتوجهات الروائي، ونظرته للمثقف عموما وتميزت هذه الشخصية عن باقي الشخصيات الروائية باعتبارها ممثلة لدائرة الوعي الفاعل داخل المجتمع.
- جسّدت رواية "أناشيد الملح" صورة المثقف المتذمّر من واقعه الاجتماعي وكذلك السياسي الذي يحكمه الظلم والفساد والإستبداد، فحال بطل الرواية كحال جلّ المثقفين يطمح إلى التغيير من أجل رؤية أمته في أحسن أحوالها.
- رسم العربي رمضاني في روايته أكبر تحدّي للمثقف ألا وهي السلطة السياسية التي تقف دائما في وجهه، وتحرمه حقه في الحرية وإثبات ذاته وكذلك كبلت كل آماله وأحلامه، إذ اتصفت العلاقة دائما بين المثقف

والسلطة بالتوتر فالمثقف يعمل على تحليل الواقع تحليلا دقيقا ملتبسا سلبياته وإيجابياته ويطمح على تجاوز العالم آملا في مستقبل زاهر، أما السياسي يريد أن يُبقي العالم كما هو حفاظا على سلطته.

- تميزت العلاقة بين البطل المثقف والمهاجرين بالإحترام والتعاون المتبادل، فقد تمكنت هذه الشخصية بما تملكه من وعي وعقلانية وروح المسؤولية التعايش مع الآخرين والإطلاع على شؤونهم والإنتفاع من تجاربهم حلوها ومرها.
- جاءت لغة المثقف في الرواية قوية لأنها دليل ثقافته ووعيه، وبالتالي استطاعت هذه اللغة بدورها احتواء طموحات وآمال وآلام المهاجرين البائسين من الواقع المزري الذي آلت إليه أوطانهم.
- كان موقف المثقف من الآخر إيجابيا، إذ أراد الإنفتاح عليه والتعايش معه من خلال محاولة تعلم لغته واحترام ثقافته ومبادئه وقيمه.
- جاء المكان في رواية "أناشيد الملح" فضاء مفتوحا إذ أسهمت محاولة الكاتب الإبداعية على تصوير ورسم المكان الذي دارت فيه الأحداث رسما دقيقا.
- تمكنت الرواية من استيعاب مشكلات المجتمع الجزائري، كما نجح "**العربي رمضاني**" في قل طموحات وآمال وآلام الشباب عامة والمثقف خاصة، فقد صورت هذه الرواية الأحداث والتغيرات التي مست مختلف الأصعدة سواء الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية أو الدينية.

وفي الأخير نحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا في إتمام هذا البحث، ونتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ "**توفيق قحام**" الذي كان عونا لنا ونعم الناصح والموجه والمرشد.

الملاحق

ملخص الرواية:

رواية "**أناشيد الملح**" أول رواية جزائرية تكتب عن "الحرقة" من طرف حراڤ هي عبارة عن سيرة ذاتية تحكي عن تجربة معاشية خاضها الكاتب، كما تعتبر تقرير مفصّل عن مغامرة خطيرة تلامس الموت، ذهب إثرها المئات بل الآلاف ممن ضاقت بهم أوطانهم بسبب قهر المعيشة وضنك الحياة وسياسات الحكام.

تطمح هذه الرواية إلى فضح التجاوزات التي تطال المهاجرين والدفاع عن حقهم في الحرية والكرامة واللجوء.

تبدأ أحداث الرواية حين قرّر العربي رمضاني الشاب الجزائري المثقف، الهجرة غير الشرعية برغبة ملحة للفرار من قساوة العيش وطغيان الأنظمة السياسية الحاكمة بحثا عن الحرية والأمل والاستقرار في البلدان الأوروبية مرورا بتركيا واليونان وصولا إلى إيطاليا.

ليلتقي بعدها برفقاء الرحلة بانغو الكونغولي والسيدة الفلسطينية والشاب الدومنيكاني، وحازم المصري وغيرهم، ممن تقاسم معهم العناء والخيبة والهلع لعبورهم البحر، كما عاشوا جحيم المخيم وقساوته ليجد نفسه تحت سطوة رجال الشرطة اليونانيين والمخادعين داخل زنزانة مظلمة كبّلت كل أحلامه وآماله في الوصول إلى أوروبا.

فمن عقوبة السجن وجحيمه إلى لعنة المرض الذي داهمه فجأة وأطفأ شمعة آماله وأجبره على العودة إلى أرض الوطن، وبداخله انكسار وخيبة أمل.

لكن بالرغم من قساوة التجربة إلا أنها علّمت العربي رمضاني دروسا جديدة في الحياة.

السيرة الذاتية:

العربي رمضاني كاتب جزائري من مواليد 1986، بسيدي نعمان في المدية خريج صحافة سنة 2008، يكتب مقالات في السياسة والثقافة، أصدر كتابه الأول بعنوان "أناشيد الملح-سيرة حراف".

قائمة المصادر

والمراجع

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم(رواية ورش)

المصادر:

1- العربي رمضاني: أناشيد الملح-سيرة حراك- منشورات المتوسط، إيطاليا، ط1، 2019.

المراجع:

1- إبراهيم عبد الكريم البطوش: الصورة الفنية في شعر ابن القيسراني، دار مأمون، عمان، الأردن، ط1، 2018.

2- إدريس بوربينة: الرؤية والبنية في رواية الطاهر وطار، شركة إنشغال للطباعة، قسنطينة، ط1، 2000.

3- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية (الفهرس والممارسة)، دار النشر راجعي، الجزائر، دط، 2009.

4- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمان، الشخصيات، المركز الثقافي، لبنان، ط1، 1999.

5- حكيمة السبيعي: صورة المثقف عند واسيني الأعرج، رواية مملكة الفراشة أنموذجا، دار الجنان للنشر، دط، دت.

6- خير الدين نصر عبد الرحمان: نحو تثاقف متوازن، دار أمواج للنشر، الأردن، دط، دت.

7- عبد الخالق نادر احمد: الشخصية الروائية بين علي أحمد(بكثير) باكثير ونجيب الكيلاني دراسة موضوعية فنية، دار العلم للإيمان للنشر والتوزيع، ط1، 2009.

8- عبد السلام الشاذلي: شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، 1882-1952، دار الحداثة، ط1، 1985.

9- علي جعفر علاق: الدلالة المرئية قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، دار الشروق، دط، 2009.

10- علي حرب: أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، ط3، 2004.

11- عمار بلحسن: انثلجنسيا أم مثقفين في الجزائر، دار الحداثة، ط1، 1976.

12- كلود عبيد: جماليات الصورة في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر، دار المجد، بيروت، لبنان، ط1، 1431هـ،2010م.

13- محمد بوعزة: تحليل النص تقنيات ومفاهيم، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

14- محمد صابر عبيد: الذات الساردة سلطة التاريخ ولعبة المتخيل-قراءة في الرؤية الإبداعية سلطان بن محمد القاسمي دار تينوي للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، دط، دت.

15- محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، عالم الكتب الحديث، إيريد، ط1، 2007.

16- محمود الضبع: شرفات3، الثقافة والهوية والتكنولوجيا، مكتبة الإسكندرية، دار النشر فان، دط، 2016.

17- محمد حسن البرغثي: الثقافة العربية والعولمة دراسة سوسيولوجية لأراء مثقفين العرب، دار الفارس للنشر، عمان، ط1، 2016.

18- محمد رياض وتار: شخصية المثقف في الرواية السورية(دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، 1990.

19- محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار الفرابي، دط، 2010.

20- مخلوف عامر: الرواية والتحولات في الجزائر دراسة نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، دت.

21- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار الكتب، قباء الحديثة، القاهرة مصر، دط، 2007.

22- معن خليل العمر: علم الاجتماع المثقفين، دار شروق، الأردن، ط1، 2009.

23- مصطفى مرتضى: المثقف والسلطة رؤى فكرية، دار روابط للنشر، ط1، 2016.

24- مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر، دط، 2000.

25- مصطفى حسن: المثقف والآخر على هامش إشكالية نشوء المثقف، دار آي كتب، لندن، ط1، 2018.

26- نادر مصاروه: شعر العميان الواقع والخيال المعاني والصور الفنية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

27- واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دط، 1986.

28- وهبة مجدي والمهندس كامل: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة بيروت، لبنان، ط1، 1984.

الكتب المترجمة:

1- غادة الإمام: غاستون باشلار-جماليات الصورة-، دار التنوير، ط1، 2010.

2- كيس كرانت: موسوعة المصطلح النقدي الواقعية الرومانسية الدراما والحبكة، دط، دت.

المعاجم:

1- أبو الفضل ابن منظور: لسان العرب، مجلد الثامن، حرف الصاد، مادة صور، دار صادر، ط1، 2003.

2- أبو الفضل ابن منظور: لسان العرب، مجلد الثالث، حرف الثاء، مادة ثقف، دار صادر، بيروت، لبنان، ط4، 2005.

3- أنيس إبراهيم: المعجم الوسيط: باب الميم، مادة م ل ح.

4- أنيس إبراهيم وآخرون: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2005.

5- بن فارس بن زكريا الرازي: معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، المجلد الثاني، مادة صور، ط2، 2008.

المجلات:

1- حارش نسيمة: التمثيل الثقافي للآخر في كتابات الجاحظ، مجلة آفاق العلوم، جامعة الجلفة، العدد10، جانفي2018.

2- صباح محمد جاسم: مفهوم الثقافة الإسلامية وتحدياتها، مجلة ديالى، جامعة ديالى، العراق، كلية العلوم الإسلامية، العدد44.

3- ضياء راضي الثامري: العنوان في الشعر العراقي المعاصر أنماطه ووظائفه، مجلة القادسية، في الأدب والعلوم التربوية، جامعة البصرة، كلية الآداب، المجلد التاسع، العدد الثاني، 2010.

4- علجية مودع: هامشية المثقف ورهانات السلطة قراءات في مشروع الطاهر وطار الروائي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري.

5- علي عبد الرحمن فتاح: تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، مجلة كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، كلية اللغات، قسم اللغة العربية، العدد102.

6- فارس عبد الله بدر الرحاوي: ثقافة المكان في الشخصية الروائية(رواية ليلة لملاك) أنموذجا، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد 02.

7- فرحان بدري العربي: بنية المكان في قصص حراس المعبد لحسين عبيد عيسى، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة نابل، العدد39، حزيران2018.

8- محمد الهادي كشت: تمثيلات المثقف المقاوم صورة المثقف في فكر إدوارد سعيد، العدد 05 نيسان ابريل 2018.

9- مرشد أحمد: إشكالية تغيير الواقع السياسي في رواية شرق المتوسط، جامعة سبها، كلية العلوم الإنسانية، المجلد السادس، العدد الثاني، 2007.

مطبوعات:

سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، مطبوعة المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، المغرب، 1984.

الملتقيات:

1- شادية شقروس: سيمياء العنوان في ديوان مقام البوح، الملتقى الوطني الأول للسيمياء والنص الأدبي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2000.

الرسائل الجامعية:

1- بن خدة نعيمة: المثقف والسلطة عند إدوارد سعيد مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في الفلسفة، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، 2012/2011.

2- سلاف نعيمة: النخبة المثقفة والسلطة في الجزائر، مصطفى الأشرف أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في العلوم السياسية، تخصص حركات وطنية وتشكيلات الدولة في الجزائر ودول المغرب العربي، جامعة وهران، كلية الحقوق، قسم العلوم الإنسانية والعلاقات الدولية.

3- غنية بوحرّة: المثقف والصراع الإيديولوجي في رواية الأزمة الجزائرية، متاهات ليل الفتنة احميدة عياشي أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في الأدب الجزائري الحديث، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها.

4- فادي علان علي جمعة: دور المثقف في ثورات الربيع العربي وعلاقته بالسلطة السياسية، أطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على الماجستير في التخطيط والتنمية السياسية بكلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2015م.

5- كنزة باشوشي: المثقف الجزائري وجدل الحضارات في ظل الإعلام المعاصر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، علوم الإعلام والاتصال، تخصص اتصال الأزمات، جامعة الجزائر، يوسف بن خدّة، كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم علوم الإعلام والاتصال 2008-2009.

6- مارية حاج علي: الهوية وسرد الآخر في روايات غسان كنفاني، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في الأدب، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2016-2017.

المقالات:

1- سمير بسباس: المثقف العربي بين الشعبوية والانتهازية، نشر في الشعب يوم: 26 ماي http://www ,turess.com:2007

2- عمر عروي: التشكيل اللساني في حوراية الرواية عند الطاهر وطار الشمعة والذهاليز أنموذجا، جامعة تيارت، الجزائر.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
بسملة	
دعاء	
شكر وعرفان	
مقدمة	**أ-ج**
مدخل: مفاهيم حول	
1- مفهوم الصورة	**4-1**
2- مفهوم الثقافة	**6-4**
3- مفهوم المثقف	**10-7**
4- المثقف في الرواية العربية	**13-11**
الفصل الأول: حضور المثقف في النص الروائي الجزائري	
1- حضور المثقف في الرواية الجزائرية	**17-15**
2- أشكال المثقف في الرواية الجزائرية	**21-18**
2-1 المثقف العضوي	**19-18**
2-2 المثقف التقليدي	**19**
2-3- المثقف الحقيقي	**20**
2-4- المثقف الملتزم	**21-20**
3- المثقف الروائي والمثقف الواقعي	**23-22**
4- تطور المثقف في الرواية الجزائرية	**28-24**
4-1- المثقف الثوري	**25-24**
4-2- البورجوازي	**26-25**
4-3- الإصلاحي	**27-26**
4-4- التراثي	**28-27**
5- جماليات حضور المثقف في الرواية الجزائرية	**31-29**
الفصل الثاني: صورة المثقف في رواية "أناشيد الملح" لـ "العربي رمضاني"	
1- العنوان وثقافة الشخصية الروائية	**43-32**
2- المتن الحكائي والمستويات الثقافية في الرواية	**51-44**
2-1- المستوى الإجتماعي	**45-44**
2-2- المستوى الثقافي	**47-45**
2-3- المستوى الديني	**48-47**
2-4- المستوى السياسي	**51-48**
3- من المكان إلى ثقافة الشخصية	**61-52**

4- ثقافة التجاوز في الشخصية الروائية من الواقع إلى المتخيل	**71-62**
5- الحوارية الثقافية وفعل المثاقفة بين الشخصيات	**74-72**
6- صورة المثقف الإنتمائي "الأنا"	**77-75**
7- صورة المثقف اللامنتمي "الآخر"	**82-78**
خاتمة	**84-83**
الملاحق	**90-85**
قائمة المصادر والمراجع	**92-87**
فهرس الموضوعات	**94-93**
الملخص	